الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي سي الحواس بريكة
معهد العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

رواد الحركة الإصلاحية في تونس

خير الدين باشا التونسي 1820 – 1890 م

أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إعداد الطالبتين:

- ناصر سعاد
- بلخنفر سارة

إشراف الأستاذ:

د- تومي الطاهر

الإسم و اللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
د/-مبرك فيصل	المركز الجامعي سي الحواس - بريكة -	رئيسا
د/-تومي الطاهر	المركز الجامعي سي الحواس - بريكة -	مشرفا و مقررا
د/-جياب فاروق	المركز الجامعي سي الحواس - بريكة -	ممتحنا

السنة الجامعية - 1442-1443هـ/ 2021 – 2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي سي الحواس بريكة
معهد العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

رواد الحركة الإصلاحية في تونس

خير الدين باشا التونسي 1820 – 1890 م

أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ الوطن العربي المعاصر

إعداد الطالبتين:
- ناصر سعاد
- بلخنفر سارة

إشراف الأستاذ:
د - تومي الطاهر

الإسم و اللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
د/-مبرك فيصل	المركز الجامعي سي الحواس - بريكة -	رئيسا
د/-تومي الطاهر	المركز الجامعي سي الحواس - بريكة -	مشرفا و مقررا
د/-جياب فاروق	المركز الجامعي سي الحواس - بريكة -	ممتحنا

السنة الجامعية - 1442-1443هـ/ 2021 – 2022م

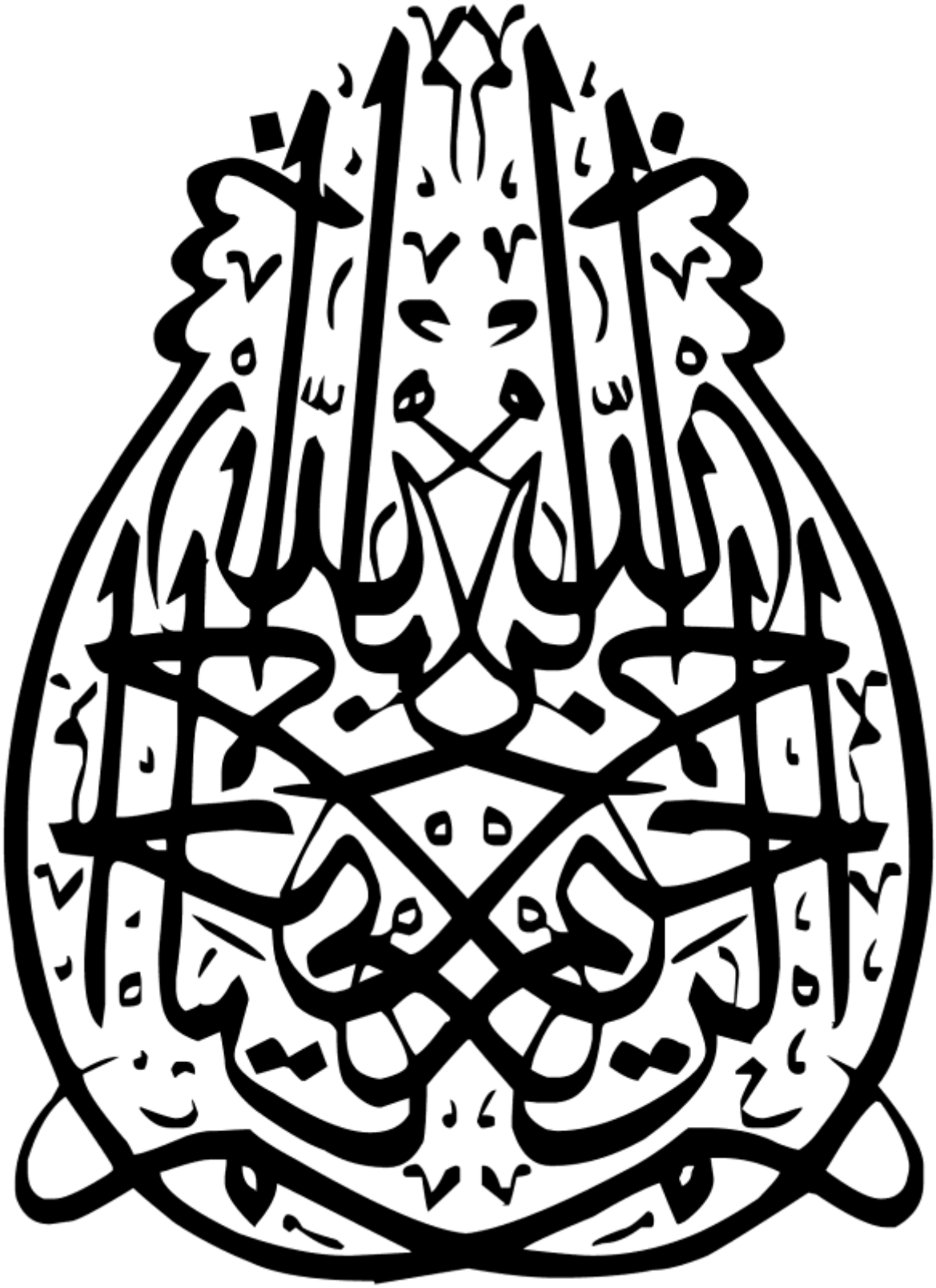

الشكر والعرفان

الحمد الله حمدا كثيرا مباركا، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ومن تبعه بإحسان إلى يوم يبعثون أما بعد:

الشكر لله الواحد الأحد على فضله ونعمته الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع

كما أرفع أسمى عبارات الشكر وخالص التقدير والعرفان إلى الأستاذ الكريم " تومي الطاهر " على مختلف التوجيهات التي قدمها لنا، وعلى ما أفاض علينا من علمه ووقته وجهده فكان خير ناصح لنا،وإلى اللجنة المناقشة لمجهوداتهم ومساهمتهم في إتمام هذا العمل المتواضع.

كما لا ننسى تقديم الشكر إلى الأولياء وكل من ساهم من بعيد وقريب في انجاز هذا العمل المتواضع.

إهداء:

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بمغفرتك فنحمدك اللهم ونشكرك كما ينبغي وجهك وصلى اللهم على سيدنا محمد افضل الصلاة وأذكي السلام.

أهدي هذا البحث المتواضع إلى من كلله الله بالهبية والوقار إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجوا من الله أن يمد عمرك (والدي العزيز) وإلى ملاكي في الحياة إلى معناي الحب والحنان إلى العين التي سهرت من أجلي بلا كلل أو ملل بسمة حياتي وسر وجودي (أمي الحبيبة) إلى من أرى التفاؤل بأعينهم والسعادة في ابتسامتهم أخوتي وأخي العزيز وإلى أهلي من قريب أو بعيد وإلى جميع من ساندني وإلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي إلى كل من علموني وارتقت معهم أستاذتي الكرام وإلى صديقات العمر كانوا لي خير أخوات والى دفعة تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر 2022 .

سعاد

إهداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا ونسالك الرحمة والغفران

اللهم صل وسلم وبارك على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة في المرسلين العالمين وخاتم الأنبياء والرسل

إلهي إليك الشكر كله وأنت الأول والآخر وأنت رب العالمين وبك نهتدي .

أهدي عملي هذا المتواضع إلى الوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار دي الغربي والجار الجنب والصاحب بالجنب "

فهم كانوا السند الوقوف معنا في الحياة وإعطائنا كل الوفاء والحب والذين تعلمنا منهم الإحسان ، والذين كانت دعواتهم ترافقنا لهم وامتناننا الخالص والذين بنوا فينا الإيمان ومنهم تعلمنا وإلى كل من رسم على وجهي الابتسامة .

صارة

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	طبعة
ج	جزء
تح	تحقيق
تع	تعريب
تر	ترجمة
ع	العدد
مج	المجلد
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

اعتبر القرن الثامن عشـر عهد تدهور وإضـمحلال في العالم الإسـلامي لسـقوط الدولة العثمانية وقع العالم الإسلامي في حالة تدهور وإنحطاط ،وقد كان القرن التاسع عشر عصر الإستعمار المباشر في مناطق عديدة من العالم العربي ، وبإنتهاء هذا القرن بدأت مسـاحة السـلطنة العثمانية بالتقلص ،وفي إطار الرؤية السـياسـية لوحدة كل المسـلمين ضـد الخطر الأوروبي الزاحف على السـلطنة العثمانية و ولاياتها ،قد برزت أسماء عديدة من المصلحين المسلمين ومن بينهم الأتراك و العرب و الأفغان و الفرس ومن رواد هذه الحركة الإصـلاحية نذكر أهمهم : إبن أبي ضـياف ،جمال الدين الأفغاني ،مدحت باشـا ،محمد عبدو ،عبد الرحمان الكواكبي وخير الدين التونسـي ،خير الدين من رواد النهضـة الحديثة ومن أعلامهم ،ومن ميزاته أنه لم يكن مفكر نهضـة فحسـب بل كان رجل سياسـة و نفوذ وقد عد خير الدين في طليعة المصـلحين في العالم العربي الحديث فقد كان رجل دولة في زمن عز فيه الرجال في ديار الغرب وكانت إدارته لشـؤون الدولة التي تولاها تقوم على علم و بعد و نظر و دراية.

الإشكالية :

إلى اي مدى نجحت التجربة الإصلاحية لخير الدين باشا في تونس ؟

– وعلى ضوء هذا التساؤل يمكن صياغة الأسئلة الفرعية التالية :

- ❖ من هو خير الدين باشا التونسي ؟
- ❖ فيما تمثلت الأفكار الإصلاحية لخير الدين باشا التونسي ؟
- ❖ ما المقصود بالحركة الإصلاحية ؟
- ❖ ماهي أهم الأعمال و الإنجازات التي قام بها خير الدين باشا التونسي؟

أهمية الدراسة :

يعتبر هذا الموضـوع من الموضـوعات التاريخية الذي يتحدث عن شـخصـية بارزة ظلت خالدة في التاريخ التونسـي وتتناول جهوده التي قام بها في مسـار الحركة الإصـلاحية السـياسـية التونسـية و التي هي شخصية خير الدين التونسي التي ظهرت في القرن التاسع عشر وهي فترة بالغة الأهمية ،وكذلك من أهميتها تسليط الضـوء على شـخصـية خير الدين باشـا التونسـي ومعرفة أهمية الجوانب من حياته السـياسـية ومنهجه الفكري و أهم أطروحاته.

أسباب إختيار الموضوع :

– الرغبة و الميل في البحث على شخصية المصلح خير الدين باشا التونسي و إبراز اهم جهوده الإصلاحية.

– وجاءت رغبتنا في إختيار هذا الموضوع و البحث فيه بتحفيز الأستاذ لنل في دراسته.

المنهج المتبع :

إعتمدنا في دراســتنا لهذا الموضــوع وكثرة الإطلاع عليه و إتبعنا المنهج التاريخي الوصــفي ،الذي ساعدنا علىة وصف الاحداث حسب التسلسل الزمني لمعرفة شخصية خير الدين باشا وما فعله في الحركة الإصلاحية وحرص التنظيمات التي قام بها ،منذ بداية تجربته الى نهايتها بتونس .

المصادر و المراجع :

إعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر و المراجع و نذكر أهمها :

– إبن أبي ضياف أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان.

– خير الدين التونسي: أقوم المسالك لمعرفة أحوال الممالك.

– محمد بيرم الخامس: صفوة الإعتبار لمستودع الأمصار و الأقطار.

–أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث .

خطة البحث :

اعتمدنا في دراستنا للموضوع على الخطة التالية :

التي تضـمنت طبيعة الدراسـة ،حيث إشـتملت مقدمة فصـل تمهديدي وتناولها الأوضـاع العامة في تونس قبل 1810م وثلاثة فصول كل فصل مقسم على مبحثين و مطلبين.

تناول المبحث الأول مفهوم الحركة الإصــــلاحية و قيامها و تطرقنا في المبحث الثاني على أهم العوامل التي أدت الى ظهور الحركة الإصلاحية مع ذكر الخصائص.

– أما الفصل الثاني فقد عالج شخصية خير الدين باشا التونسي، عالجنا في المبحث الثاني بذكر أهم إنجازاته وهي كتابه " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " ،تطرقنا إلى أسباب تأليفه و محتوى الكتاب وفيما يخص الفصل الثالث فقد عالجنا أهم التنظيمات الإصلاحية ،كما ارتئينا في المبحث الأول إلى ذكر أهم الإصلاحات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية وفي المبحث الثاني ذكرنا أهم أفكاره السياسية و أهم أعماله.

– وإنتهى عملنا في هذا الموضوع بخاتمة لعض بعض النتائج.

الصعوبات :

ليس هناك بحث يخلو من الصعوبات والعراقيل ولعل أبرزها :

– تناول العديد من المذكرات لهذا الموضوع بصورة سطحية مما جعل صعوبة في جمع المادة العلمية لكثرة التكرار.

– تكرار المعلومات في الكتب مما يصعب التعامل مع هذا الموضوع، الى أن هناك بعض الثغرات الموجودة في محتوى الموضوع وبعض النقائص.

– لكن القول أن الكمال لله سبحانه و تعالى.

– ولا ننسى أن الفضل يرجع للاستاذ المشرف الذي ساعدنا على إختيار هذا الموضوع و الذي أعطى لنا النصائح و الإرشادات و نقدم شكرنا له.

رواد الحركة الإصلاحية في تونس

خير الدين باشا التونسي 1820 – 1890 م

أنموذجا

أولا: الأوضاع السياسية

عاشت تونس في القرن السابع عشر والثامن عشر في ظل استقلال فعلي ثابت بعيدة عن كل اعتداء أجنبي، ولكن هذه الحال لم تدم طويلا، في أواخر القرن الثامن عشر قامت الثورة الفرنسية[1] وظهور نابليون بونبرت في أوروبا، فانتشر النفوذ السياسي على سواحل البحر المتوسط.[2]

قامت الأسرة الحسنية سنة 1705م بزعامة حسين[3] بن علي[4]، فبرز فيها البايات الذين حكموا البلاد بشكل مستقل عن الدولة العثمانية، مما جعل التبعية شكلية للباب العالي، إذ جمع الباي بين السلطتين التنفيذية والتشريعية واعتبرت كل قراراته قانونا نافذا[5]، يبدأ تاريخ تونس الحديث منذ الانضمام للدولة العثمانية سنة 1574م إلى غاية فرض الحماية الفرنسية سنة 1881م، ويمكن تقسيم الفترة إلى عهود مر بها الحكم بالبلاد.

- **عهد الباشوات:** وهي فترة قصيرة امتدت من 1574- 1591م وهو بداية الانضمام للدولة العثمانية وكان من خلالها حاكم تونس يعين مباشرة من قبل السلطان العثماني.

---

[1]-الثورة الفرنسية: تعد فترة الحروب الثورة الفرنسية من أهم الحقب في التاريخ الأوروبي مجملا والفرنسي تحديدا، وكانت عبارة عن سلسلة من الحروب والنزاعات العسكرية الجارفة التي نتجت عن الثورة الفرنسية. ... للاستزادة ينظر؛ حسان عمران: الثورة الفرنسية الأولى (1789- 1799م)، ماجستير في القانون الدولي، إدراك للدراسات والإستشارات، سوريا، 2016، ص 15.

[2]-محمد محمود السروجي: العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال، المكتبة الوطنية للنشر، بن غازي، ليبيا، 2009، ص 15.

[3]-حسين بن علي تركي: المؤسس فعلي للأسرة الحسينية التي توارثت حكم تونس من 1705- 1959م وتوالى على الحكم من أفرادها في هذه المدة تسعة عشر بايا تصرفوا فيها تصرف الولاة المستقلين في ظل الحاكمية العثمانية لتونس من دون أن يعلنوا انفصالهم عن الدولة العثمانية. ... للاستزادة ينظر: أحمد بن نعماني: "وثيقة عهد الأمان في تونس العثمانية المؤرخة في 9 سبتمبر 1857 دراسة المحتوى ونتائج، مجلة روافد للبحوث ودراسات، غرداية، الجزائر، ع 10، 2011، ص 75 ينظر للملحق رقم 1، ص 82.

[4]-شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط2، مكتبة الاتجاه المصرية، القاهرة، مصر، 1977، ص 110.

[5]-علي المحجوبي: ما يجب أن تعرف عن انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، لسراس للنشر، تونس،1986، ص 8

- **عهد الدايات:** وهي فترة قصيرة امتدت أيضا من1591- 1630م وفي بداية هذه الفترة كان حكم تونس ينتخب من بين الديوان وهو المجلس الذي يضم ضباط الجيش الانكشاري[1] بتونس.[2]
- **عهد البايات:** اختلف الحكم في هذا العهد ومنذ النصف الأول من القرن السابع عشر كان وراثيا توارثته العائلة المرادية ثم الحسينية التي أصبحت بمقتضاها محمية فرنسية.[3]

نجد أن التاريخ في عام 1881م سجل عددا من البايات كانت لهم نفوس طيبة في خدمة الدولة، لكنهم لم يستطيعوا تقدير الظروف المحيطة بهم، كانت النظم السياسية في البلاد التونسية صالحة لحد معين، لكنها اضمحلت ولم تعد قادرة على مواجهة الخطر الذي يهدد مصيرها السياسي، فكان على رأس الحكومة باي يحكم بطريقة شرقية قديمة فكل السلطات بيديه، هنا نرى أن الحكم كان يتوقف على شخصية الباي إذا كان قويا مصلحا لبلاده أو ضعيفا.[4]

---

[1]–الجيش الإنكشاري: تكون هذا الجيش من أسرى الحرب المسيحيين الذين يتراوح أعمارهم ما بين 10 إلى 20 سنة وكان يطلق عليهم إسم عجمي أوغلان أي الصبية الأجانب، كان التجنيد يقتصر على فئة المراهقين وكان يتم جمع أبناء المسيحيين كل خمس أو أربع سنوات من المناطق المسيحية الخاصة بالدولة العثمانية. ... للاستزادة ينظر؛ بوشيبة ذهبية: " الجيش الإنكشاري في إيالة الجزائر بين ثنائية المصادر المحلية والأجنبية"، مجلة متون، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر، المج08، ع4، 2017، ص 361.

[2]–راغب السرجاني: قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011، ط2، دار الأقلام للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011، ص ص 17، 18.

[3]–محمود محمد السروجي: المرجع السابق، ص 18.

[4]–نفسه: ص 17.

ذكر مفيد الزيدي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني: " في عهد الباي محمد الصادق باشا (1859- 1882م) برز الوزير خير الدين الذي حاول تعديل بنود عهد الأمان[1] وأصدر دستورا عام 1861م[2] حدد فيه سلطة الباي ونص على تشكيل مجلس استشاري برئاسة الوزير خير الدين التونسي والذي يتكون من ستين عضوا يعينهم الباي لمدة خمس سنوات، لكنه لم يحقق الإصلاحات بسبب سيطرة الباي ووزير المالية مصطفى خزندار على أعماله.[3]

نرى أن محمد الصادق تولى الحكم وخلف أخاه، وأصبح بايا لتونس في سن الثانية والعشرين، فشخصية هذا الباي كانت ضعيفة بحيث أن لديه نقصا في التكوين، فكان قليل الاكتراث بالشؤون العامة للبلاد[4]. كما أن هذه الفترة عاشت أزمة مالية في أواخر السنة 1863م كان من أثارها مضاعفة الضرائب[5] .

استولت فرنسا على الجزائر سنة 1830، وبدأ تزاحم الدول الأوربية على بلدان الشمال الإفريقي، وبدأت تنظر نظرة طمع وأمل إلى البلاد التونسية، فوجدت نفسها محاطة من كل جانب بدول أكثر منها عددا وأعظم جندا، وعمدت هذه الدول على نشر نفوذها السياسي و الاقتصادي في تونس[6].

---

[1]-عهد الأمان: صدر في تونس قانون الأمان 10 سبتمبر 1857 صيغ على نمط خط شريف كلخانة العثماني يتألف من مقدمة وإحدى عشر فصلا. تناولت المبادئ الأساسية العامة لأن بعض فصوله مستنبطة من الشرع الإسلامي ... للاستزادة ينظر؛ قاسمي الطاهر: مشروع النهضة في المغرب العربي (1867- 1954م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة الجيلالي، سيدي بلعباس، 2018، ص 99.

[2]-دستور 1861: اصدر رسميا في شهر أفريل 1861 في عهد الباي محمد الصادق (1859-1882) واعتبر أول دستور في العالم العربي والإسلامي ... للاستزادة ينظر؛ قاسمي الطاهر: المرجع السابق، ص 100.

[3]مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 152.

[4]-علي المحجوبي: المرجع السابق، ص 9.

[5]-عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1972، ص 20.

[6]-محمد محمود السروجي: المرجع السابق، ص 17.

عاشت تونس أوضاعا تشبه نظام الإقطاع[1] الذي ساد في أوروبا، كما نجد أن تونس وضعت مشروعا لإنشاء المحاكم المختلطة 1871م وذلك للفصل في القضايا التي يكون أحد طرفيها وطنيا والأخر أجنبيا[2]، في سنة 1873م نرى محتكمة لجنة التفتيش للوزير الخزندار الذي اتهم بتبذير أموال الدولة[3].

أصيب الباي بذعر كبير خاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر، فالباي كان يتبع السلطة العثمانية بتبعية شكلية لا أكثر، اقتصر بتزويدها بالجنود في الحروب التي تخوضها، وإغراق السلطان بالهدايا حتى لا يحاسب الباي على أي أمر يحصل في تونس[4].

توفي حمودة باشا[5] الذي كان له اثر كبير على نظام الحكم، فالفريق الذي كونه قد زال وبدأت سلسلة من السنوات التي كانت فيها الكوارث وامتدت إلى زمن متأخر ونذكر أزمة 1867م التي تعد من اخطر الأزمات[6]، يمكن القول أن تونس كانت تنعم بشبه استقلال على غرار الولايات البعيدة، هذا الأمر مكن الباي من تسيير شؤون بلاده حسبما تمليه عليه مصالحه، وقد كانت الأحداث التي حصلت في تونس بين سنتي 1867-

---

[1]-نظام الإقطاع: الإقطاع هو ما يفعله ولي الأمر لنفسه أو لغيره من أرض أو من غيرها، ويطلق الإقطاع في الإصطلاح الفكري على إعطاء السلطان رقبة الأرض العئدة لبيت المال أو منافعها. ... للاستزادة ينظر؛ كروم عيسى: "وضعية الأرض الزراعية وملكيتها في المغرب الأوسط من خلال نوازل المازوني"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مج12، ع1، 2020، ص 5.

[2]-جلال يحيى: العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965، ص ص 242- 244.

[3]-محمد محمود السروجي: المرجع السابق، ص 22.

[4]-سمير أبو حمدان: خير الدين التونسي "أبو النهضة التونسية"، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1993، ص 20.

[5]-حمودة باشا: ولد سنة 1709م بالجزائر يكنى حمودة باشا بابا محمد، تصدر للرئاسة بحيث وجدت فيه كل المواصفات، كانت له قدرة سياسية في تسيير بلاده، حتى أن والده الباي علي باشا عندما كبر في السن أشركه في الحكم.ينظر ... للاستزادة؛ جمال بن احمد عيسى، مكحلي محمد: "الصراع السياسي بين تونس والجزائر خلال حكم حمودة باشا 1782- 1814 وملامح التواصل الثقافي بينهما"، مجلة أفاق الفكرية، سيدي بلعباس، الجزائر، ع 3، 2012، ص 413.

[6]-محمد الهادي الشريف: ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، ط 3، دار السراس للنشر، تونس، 1993، ص 96.

1868م، داعية إلى الفزع وتأكد على ضرورة إصلاح شؤون البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهذه الأحداث ذكرت المفكرين بحاجتهم إلى نظم تضمن لهم سلامة أنفسهم وأموالهم[1].

جاء في كتاب إسماعيل أحمد ياغي العالم العربي في التاريخ الحديث يقول " كان هذا التدخل الأجنبي في شؤون تونس، بالإضافة إلى الامتيازات الأخرى التي منحها البايات للدول الأجنبية (فرنسا، انجلترا، ايطاليا) الصخرة التي تحكم عليها استقلال تونس، وضاعت ثمرات الإصلاح."[2]

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية.

رغم قوة الدولة العثمانية بما تحمله من مقومات أعتى الحضارات والتي دامت طويلا إلا أن تأثيرها على البلاد التونسية كان ضعيفا فمثلا من الوضع الصحي كان سيئا أدى إلى تفاقم العديد من الأمراض وزيادة في عدد الوفيات، وفيما يخص الحياة الفكرية كانت مهملة فشاعت الأمية وضعف شأن اللغة العربية بحيث اقتصر التعليم على الكتاتيب التي تعلم القرآن تعلم القرآن والحساب، كما أن هناك بعض دور العلوم الإسلامية التي ساهمت في حفظ التراث العربي مثل جامع الزيتونة[3].

عانت البلاد التونسية من أزمة مالية تسببت في إنهيار الإقتصاد وقد أثر بشكل كبير على الحالة الإجتماعية والثقافية[4].

---

[1]–أحمد عبد السلام: مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 17.

[2]–إسماعيل احمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ص1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1997، ص 144.

[3]–محمد عبد الله عودة؛ إبراهيم ياسين الخطيب: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989، ص ص 38– 39.

[4]–سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص 17.

يقول عبد الجليل التميمي" ففي البلاد التونسية كان يعيش فريق من جنوب الصحراء من غاث وغدامس وكاتو، وبرنو، ومن السودان، وكانوا إما عبيدا أو رحالة وطلبة وتجار، وحيث كانت التجارة نشطة في كلا الإتجاهين وقدر عددهم سبعة آلاف بالبلاد التونسية"[1]

يقول أيضا عبد الجليل التميمي" يعد الباي أحمد باشا أول حاكم إسلامي يقوم بأخذ قرار إلغاء بيع الرقيق والقضاء على أسواقهم ومنع تجارة استيراد الرقيق من إفريقيا وقد أعلنت: كل مولود في المملكة التونسية لا يباع ولا يشترى"[2].

تشكل المجتمع التونسي من مزيج من السكان وهم:

- **البدو:** عاشوا كقبائل صغيرة متفرقة في الصحاري ووحدة القبيلة تربط بينها الدم والعصبية ولم يكن سهلا قيام ارتباط بين عدد من القبائل لتكوين ممالك[3].
- **العبيد:** منهم السود القادمين من بلاد ما وراء الصحراء عن طريق التجار ومنهم العبيد البيض الذين يسمون بالأعاجم ومصدرهم عمليات الأسر البحري[4].

[1]–رافع عبد الرحمان النجدي: الحياة الإجتماعية في الولايات جمع وتقديم عبد الجليل التميتي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموزريكسية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1988، ص 200.

[2]– نفسه: ص 203.

[3]–أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1996– 1997، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الدمام ، المملكة العربية السعودية، 1996، ص 41.

[4]–كوثر العايب: العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711– 1830، مذكرة ماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، الجزائر، 2014، ص 25.

- **البربر**: سكنوا في ظل العرب وطفقوا ينتحلون صفاتهم وعاداتهم ويأخذون مذاهبهم في السلوك ويتشبهون بهم في الملبس والمركب والسلاح ويرتبطون معهم بالمصاهرة والمصالح المشتركة[1].

ذكر محمد نجيب بوطالب في كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي " إن أهم انعكاسات وجود الزنوج في البلاد التونسية، ما كان متعلقا بعملية الانتشار الثقافي وهو أمر ملحوظ حتى اليوم، فقد لعبت هذه الظاهرة دورا في نقل بعض العناصر الثقافية الإفريقية إلى المنطقة وكثيرا ما نجد هذه الملامح في الثقافة الشعبية، في الموسيقى، اللباس وفي القيم الفنية، وفي الآلات المستخدمة، وهي ظاهرة لا يزال أثرها بارزا في الجنوب التونسي[2].

شهدت البلاد أزمة سياسية تمثلت في اندلاع ثورات بلغت ذروتها سنة 1864 وهي ثورة علي بن غذاهم[3]، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة والمجاعة كالكوليرا مما تسبب في قتل الأهالي التونسيين[4].

كما نرى أن الإيالة عرفت اضطرابات وأزمة اقتصادية ارتبطت ببعض التغيرات وأيضا الرغبة في إدخال إصلاحات سياسية وإدارية واجتماعية، ومن جهة أخرى فقد عرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر احتكاكا مع أوروبا، أثر على عدة مستويات ونجد أن بن أبي الضياف أعطى وصفا دقيقا، بحيث قال: " .....ولا شك أن ذلك يؤدي إلى نقص في الأموال والأنفس والثمرات، إلى غير ذلك مما يسقط القوى "[5].

---

[1]–حسن محمد جوهر: تونس – شعوب العالم– ، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1961، ص 69.

[2]– مجموعة من الباحثين: المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، ط 1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون " بيت الحكمة "، قرطاج، تونس، 1999، ص 405.

[3]–محمد الهادي الشريف: المصدر السابق، ص 98.

[4]–أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص 18.

[5]–مجموعة من الباحثين: المرجع السابق، ص 381.

أنشأ الفرنسيون سنة 1883 إدارة للعلوم والمعارف ووضعوا برنامجا لإنشاء مدارس، من اجل إخراج جيل ناشئ بعيد عن القومية العربية الإسلامية وقطع الصلة بينه وبين ماضيه وتاريخه[1].

بالإضافة إلى صناعة الشواشي كانت توجد صناعة الزرابي بحيث تقوم النساء بالغسيل والغزل والنسيج، وكانت الأشكال والرسوم تورث من جيل إلى جيل وفيما يخص الأدوات المستعملة نجد السداية العمودية والمشط الحديدي.[2]

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية.

يتوزع سكان تونس بين المدينة والريف والصحراء، فسكان المدن يقتصرون في معاشهم على الحرف البسيطة وعلى التجارة، أما سكان الريف مزارعين وفلاحين يعيشون في عزلة تامة، وفي زراعتهم يستخدمون أدوات شبيهة بتلك المستخدمة في القرون الوسطى، وعاشت الفئة الثالثة أشباه البدو على الحصاد ومساعدة أهل الريف في الزراعة[3]، وقد كانت الحياة الاقتصادية تقوم في سالف العصور على عدد السكان، وتجمع قوى البلاد الحية كان حافزا منشطا للإنتاج والاستهلاك والتجارة طوال الأجيال الثلاث، والمذهل في الازدهار يعود إلى عدد الرجال وإلى تعاقب السنوات وكانت المحصولات الفلاحية طيبة وإلى حيوية السوق الخارجية واتساعها الأرباح الحاصلة[4]، وقد بارت المواسم الزراعية نتيجة انفتاح المجتمع التونسي الريفي على مستجدات الزراعة الحديثة وقد احتكروا التجارة إلى الخارج إلا القليل النادر من اهل البلاد، وقد تلقى الاقتصاد التونسي آنذاك

[1]–وسام هادي عكار: "السياسة الفرنسية حيال تونس (1881– 1914)"، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، بغداد، العراق، ع 214، 2015، ص 265.

[2]–حمد الهماني: المجتمع التونسي، منشورات اللجنة الجهوية بسوسة، تونس، 1989، ص ص 21 ، 22.

[3]–سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص 17.

[4]–محمد الهادي شريف: المصدر السابق، ص 92.

صفعة أليمة على يد الصناعة الأوربية المتطورة،[1] ولا ننسى الجهاد البحري فكان تقلص شانه في ذلك العصر فانه لا يزال قائما، وكان نشاط تونسي من دانب القوة متصلا بالأعمال البحرية من تجارة خارجية وخاصة بيع الشاشية وتسوق منها إلى مختلف البقاع الإسلامية ما بين نصف مليون ومليون قطعة سنويا، في أيام حمودة باشا بلغ النظام أوجه، وهو ذلك الباي المتعاطي للتجارة والمشجع لها، وفي عصر رجال الأعمال مثل " أل الجلولي، وابن عياد " وكتاب التجار العاملين بالاشتراك مع البايلك في سوق البحر الأبيض المتوسط فلما سمح بفائض فلاحي أو نقدي.[2]

وتبدو الحياة الاقتصادية في تونس مزدهرة قبيل الحماية، وهذا ينطبق على الجهة الشرقية وكتب كامبون عام 1882 " فهو يخلط بين الواقع الاقتصادي للأيالة والذكريات التاريخية لإفريقيا الرومانية " إن موارد الأيالة هامة وان خصوبة المناطق الساحلية والوطن القبلي والأعراض و الساحل وجزيرة جربة تفسر الشهرة التي تتمتع بها في هذا المجال" افريكا " ونوميديا عند الرومان، ولا يمكن أن تعتمد هذه الشهرة على الخصوبة وادي مجردة فحسب، فالساحل وجزيرة جربة يتمتعان بخصوبة لا وجود لنظيرها في أية مقاطعة فرنسية" وكان شمال الأيالة يشتهر بزراعة الحبوب وان هذا المنتوج له قسط أوفر مئات من هذه الجهة[3]، وقد منح هذه لأبناء الجاليات الأجنبية في هذا العهد حقا مطلقا في التجارة وامتلاك الأراضي والعقار، ولا يوجد أي اختلاف بينهم وبين أهل البلاد في تلك الحقوق، ونذكر أن محمد قام بأعمال إصلاحية منها نقل للعاصمة بالأنابيب مياه زغوان[4]وأكثر الأراضي خصوبة في كانت أيدي اقرب المماليك المقربين للباي، وهم ملاك متغيبون يعيشون في الحاضرة

[1]–سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص 18.

[2]–محمد الشريف الهادي: المصدر السابق، ص 93.

[3]–علي المحجوبي: المرجع السابق، ص 17.

[4]––إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج 2، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1993، ص 95.

وتؤجر أراضيهم الشاسعة للمزارعين أو لزامة لم يتورعوا بدورهم عن الثراء على حساب صغار الفلاحين، وفي الساحل وترتكز فلاحتهم أساسا على زراعة الزياتين، وكانت واحات الجنوب خاصة واحة الجريد أنها موطن ممتاز لغراسة النخيل[1]، أما الصناعات الحرفية التي في الحواضر فقد كان تأثرها تأثرا شديدا باستفحال الفقراء عامة الشعب والبوادي، حرفييها التقليديين هم الأكثر نسبة وقد بدء انحطاط هذه الصناعات منذ زمن بعيد وكان شان عديد من التجار الذين قاموا وسطاء المنتوجات الصناعية والحرفيين التونسيين[2] وكذا القبائل المتنقلة داخل الأيالة وشبه المستقلة يعيشون على الرعي في أراضيهم الجماعية، وكذا زراعة الحبوب خاصة زراعة الشعير وكذا تربية الأغنام من قبل القبائل التي كان لها دور هام في اقتصاد البلاد[3].

ووقعت البلاد في أزمة مالية كان سببها معاوني الباي وكانوا من المغامرين الذين استفادوا من الأوضاع في سلب الأموال، والتآمر على الأجانب، ومن هؤلاء مصطفي " خزنه دار " وكان له مصالح مشتركة في عقد الصفقات وتحقيق المغانم، واجهت تونس مصاعب عديدة منها تراكم الديون على الدولة مثلما حصل في مصر والدولة العثمانية، وادعى الباب العالي أن تونس ولاية تابعة له، صك فيها النقود باسم السلطان[4]، وفي عهد محمد باي بالرغم من قصر مدة حكمه، تميز بسياسة خاصة في الميدان العسكري، وهذه السياسة ترتب عنها نتائج منها: تزيف الموارد المالية للدولة، ولم يستطع تحقيق الرخاء المنشود، ولم ينتج عنه عمران وازدهار واستمرار الضيق المالي، وقد استمر في ازدياد بعد وفاته، حتى أصبح أزمة مالية في عهد الصادق باي[5] وتنفيذ المعاهدات بين الدولة الفرنسية ومختلف الدول الأوروبية وقبول الباي بوجود القوات الفرنسية في تونس، وتمثيلها

[1]–علي المحجوبي: المرجع السابق، ص 18.

[2]–محمد الهادي الشريف: المصدر السابق، ص 107.

[3]–علي المحجوبي: المرجع السابق، ص 19.

[4]–إسماعيل احمد ياغي: المرجع السابق، ص ص 344– 346.

[5]–الشيباني بن بلغيث: المرجع السابق، ص ص 47–55.

في الخارج، والإشراف على مالية البلاد، ونهب الخيرات، القيام بالواجبات الفروض الذي ضمنته فرنسا للباي وأولوية المصروفات الواجب أدائها في تونس. فتخصص من إيرادات المملكة أو المبالغ اللازمة، وما بقي ينفق على إدارة المملكة وتدفع منه مصاريف الحماية ، نهب الأراضي التونسية[1] وكذا بايات تونس الذين اتسموا بطبيعة الحكم الفردي وضخامة مصاريف حاشية القصر، وقاموا بسرقة أموال الدولة على يدين عياد وخزندار نسيم، وإجحاف جبائي للضرائب باستعمالهم وسائل القسوة ضد الشعب والتي كانت أساسا مباشر لنقمة الهالي على سياسة البايات[2].

وأثناء العصور الحديثة لم يسجل تاريخ تونس، وعيا شعبيا هز كيان الأهالي ضد حكامه الذين اقلوه بالضرائب وأنهكوا قواه[3]، وكانتديونالبلاد التونسية آنذاك قدرت إلى(مائة وخمسة وعشرون مليون فرنك)، ووقع التقسيم على مداخيل الأيالة إلى قسمين: القسم الأول لنفقات الدولة والثاني لتسديد الديون وكانت هذه اللجنة مكونة من التونسيين والأجانب وهي عبارة عن جهازين:

اللجنة التنفيذية: تتألف من ثلاث أعضاء، وكان يرأسها الوزير الأكبر لمساعدة من عضو تونسي ومتفقد مالية فرنسي يعينه الباي وهي مكلفة بجباية الضرائب المتخصصة لتسديد الديون التونسية، كما تعبير لمثابة وزارة مالية لحكومة الباي.

لجنة المراقبة: وهي من ستة أعضاء منتخبين يمثلون مقرضي الحكومة التونسية من (فرنسا، انجلترا، ايطاليا) وتقوم بمراقبة كل العمليات التي تقوم بها اللجنة التنفيذية ولجنة المراقبة وترفع تقريرا حول تصرفه إلى اللجنة

[1]–عبد الله مقلاتي: مرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، ليبيا، المغرب) ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ص ص 118، 120.

[2]–عبد الجليل التميمي: المصدر السابق، ص20.

[3]– نفسه: ص 20.

المالية، وقد كانت في عهد الباي محمد الصادق باي ودوره ينحصر في الدفاع عن مقرضي الباي وتامين ديونهم فقط.

أما الصناعات التونسية الأخرى مثل صناعة الأقمشة والمعدن والصباغة والعطورات عرفت قبل الحماية تدهورا تاما، ولا تقدر منافسات أوروبية للمنتوجات المصنعة والتي لا توظف فيها أكثر من 8 بالمائة ولم تستطع الحكومة التونسية منع أو تحديد دخول البضائع إلى البلاد، بحكم نظام الامتيازات الذي يتمتع به بعض الدول الأجنبية.[1]

رابعا: الأوضاع الثقافية

إن الشعب التونسي كان مكون من جماعات، وقد جاءت تلك الجماعات في عصور وأوقات مختلفة، وهي متأثرة بعض التأثر بمزايا بيئات طرقهم الطويلة، وارتبطوا معها برباط الجوار والمصاهرة فاثروا وتأثروا بها، وفي تونس يختلف اليهود في حلهم وشكلهم وملمسهم وحياتهم الاجتماعية بصفة عامة، والتونسيين الذين يدينون ديانات أخرى عن مواطنيهم غير أن اليهود لا يقيمون وزنا بالمثل بهده الشعائر الدينية في المدن التونسية[2] وبفضل صبغتهم الدينية المستمدة في أصلها أي انتساب لصاحب الشريعة محمد صلى الله عليه وسلم والسير على سنن من سلفهم من ملة الدين وأقطاب الملة بهذه الديار وصفات التقوى والعلم والعمل، وقد اشتهر لقب شيخ الإسلام بها فكان أهل العلم يطلقون اللقب بين شيوخهم سواء كان حنفيا أو مالكيا[3] إما الباي وقنطرة محمد

[1]–قدادرة شايب: الحزب الدستوري وحزب الشعب الجزائري (1934– 1954) دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 33– 36.

[2]–حسن محمد جوهر: المرجع السابق، ص 25.

[3]–حمدان بن خوجة: صفحات من تاريخ تونس، تعريب حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص 96.

الباي المرادي بطبرية أنشأ بناء دار الملف التي أرخها شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بيرم في قصيدته منها "بها حرر تذيل المفاخر تونس بما لم تنل صيب البلاد وهندها[1] " وتشمل الثقافة عاملين أيضا السكان التونسيين ينتمون باستثناء أقلية من اليهود إلى دين واحد هو الإسلام والدين في تونس عامل توحد بحق، وكان السكان التونسيين تقريبا ينتمون عدد الأقلية من أصل تركي[2] كما تأثر بيئة وطنهم الجديد، وشعب تونس متميز عن الشعوب الأخرى، والطوارق والشعراء بطبيعتهم ونسائهم بخاصة وهم كعرب الجاهلية يلقون فيها الشعراء رجالا ونساء قصائدهم الجديدة ويقيمون أسواق أدبية، وليس ذلك بعجيب لان الطوارق يخضعون للنظام الأموي وتختلف الجبة " البلوزة" طولا ولونا باختلاف الجهات، أما النساء يرتدين معظمهن الزي الأوروبي، وفي المدن التونسية من المظاهر المألوفة لديهم أن ترى رتلا من البقال بالأثاث المذهب والفراش المطرزة ، وقد عملت فرنسا على القضاء على قوميتها العربية فاستبدلت اللغة الفرنسية باللغة العربية فالمدارس والمصالح الحكومية والدواوين[3]، أو مملوكي إلى المذهب المالكي، الذي أدخل إلى البلاد التونسية في القرن 19 على يد الأغالبة[4] فالحياة العلمية قدر كبير من الهزال إذ أن الكتاتيب وهي التي قامت مقام المدارس والجامعات وتلقين الطالب شيئا من القران وشيئا من الحديث ومن النحو والصرف واللغة، وكان جامع الزيتونة في تونس أشبه ما يكون بالجامع الأزهر في مصر[5] وكان التعليم التقليدي في المحافظة على كيان البلاد الروحي والثقافي ، وقد تدهور كما وكيفا، فالمتمردون على الكتاتيب أي المدارس الابتدائية التي تعلم القران والكتابة والقراءة. كان عددهم لا يتجاوز 14

[1]–أحمد بن أبي ضياف: اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مجلد2، جزء4، طبع بالمطبعة، بن عروس، تونس، ص ص 76، 77.

[2]–قدادرة شايب: المرجع السابق، ص 69.

[3]–حسن محمد جوهر: المرجع السابق، ص ص 54– 76.

[4]–قدادرة شايب: المرجع السابق، ص 69.

[5]–سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص 16، 17.

ألف تلميذ في كامل الأيالة، ولم يعرفوا في الإسلام غير الشهادتين، وكانت في تونس جاليات أجنبية فرنسية وايطالية وانجليزية وقد أنشات مدارس تابعة لها، ولأهمية المركز الثقافي اعتن البايات بالتعليم في أحوال المدرسين وانتظام مجرياتهم وآخر ترتيب اتبع في نظام التعليم بجامع الزيتونة [1]ونشطت الحياة الثقافية وأنتجت آثارا يكمن الاستدلال من خلالها على أن البلاد على أعتاب النهضة وعلى سبيل المثال انجاز مؤلفين طريقين في التاريخ هما " المشروع الملكي في سلطنة أولاد حسن بن علي تركي" والكتاب الباشي " الأديب ورجل الدولة حمودة بن عبد العزيز حوالي 1775- 1778م، عودة الطاعون الجارف في 1784- 1785 كما يستحيل أن نفهم ما حققه حمودة باشا من انجازات رائعة ومن الفقهاء الذين كانوا مواليين لطبقة السياسين ويقومون بالدعاية لها [2]وهناك التأكيد على المساواة بين أهل الذمة وأهل البلاد حيث لا ضرورة لذلك إذا أن الإسلام قد تناول هذه الأمور بالتفصيل وأكد حقوق الذميين وصانها ولم يخل عصر محمد من بعض الأعمال الإصلاحية، فقد أدخل الطباعة بالحروف وكانت على الحجر من قبل ذلك.[3]

وكان بايات يحكمون البلاد حكما مستقلا عن الدولة العثمانية وكانوا يعدون أنفسهم تابعين لها من الناحية الدينية، وعلى أساس من العالم الإسلامي وطن واحد وقاموا بتحويل الكتاتيب بينهم وبين الدولة العثمانية باللغة العربية كما شجع احمد باشا بنشر العلم وأكرم العلماء وعمل على إلغاء الرق وأدى التقرب بينه وبين الغرب خاصة فرنسا التي دعته بزيارة إلى فرنسا ورجع معجبا بما شهده من حضارتها المادية وقد استدعى نظره من ذلك قصر فرنساي خاصة، فقد بنى صورة مصغرة لهذا القصر القريب من تونس اسماه "

[1]-أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص ص 67، 68.

[2]-محمد الهادي الشريف: المصدر السابق، ص ص 92-94.

[3]-إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص ص 335، 346.

المحدية " وتلقى الباب العالي في تونس الخطب في الجوامع باسمه[1] ، وقد أكدت في عهد الصادق بايوجوب الاهتمام بالتعليم الحديث، ويبدو أنها أصبحت عبئا ثقيلا على ميزانية الدولة، وأهملت تماما وأغلقت أبوابها وهناك دعى على ابن غذاهم أنه طبيب وولي صالح للطريقة التيجانية وكان سببا في ازدحام الأعراب عليه ومن كل جهة في بيته، وسوقا من أكثر الزوار الذين قصدوه من أقصى الجنوب، وتبركا به كولي[2] صالح، وأظهرت له معرفة جديدة في الطب وأصبح له كفن، وكسب ثقة الأعراب جميعا وقد كان القسم الجنوبي من تونس هو المسرح الرئيسي لثورة المقاومة التونسية الوطنية خاصة مدينة القيروان المشهورة في شمال إفريقيا كله بمكانتها الدينية والتاريخية العظيمة فهي أول دولة إسلامية بناها عقبة بن نافع عندما فتح المسلمون هذه البلاد وهذا يدل على الباعث الديني في حركة المقاومة، وكانت وضعية بول كامبون لا ترضيه وكان الوزير المقيم هناك مهام مطروحة وهي وضع الباي وحكومته وحاشيته تحت إمرته وتحييد الصحافة والطرق الدينية، ثم ان الطرق الدينية تلعب دورا محركا في البعث الوطني بل كان البعض منها معروف بولائه للسلطات الاستعمارية تقبل خضوع المسلمين.[3]

[1]–إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص ص 339– 347.

[2]–عبد الجليل التميمي: المصدر السابق، ص 12.

[3]–قدادرة شايب: المرجع السابق، ص ص 40، 50، 70.

رواد الحركة الإصلاحية في تونس

خير الدين باشا التونسي 1820 – 1890 م

أنموذجا

بزغت شمس الإصلاح الحضاري خلال القرن 19 بضل العوامل الداخلية والخارجية ، حيث كانت الأوضاع في تونس متدهورة في جميع نواحي الحياة ، لذا كان لابد من إجراء تغير جذري وسريع من الإصلاحات وهي بداية عصر الحركة الإصلاحية والنهضة الحضارية في تونس في كافة الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية

قام بايات تونس بتحمل المسؤولية وإجراء العديد منالإصلاحات البارزة والمهمة للنهوض بالبلاد ، وقد تبلورت الحركة الإصلاحية في القرن 19 ، وكان هذا الإنجاز والعمل الحضاري قد ساهم وساعد في تطور أفكار الرواد المصلحين السياسين ومن أبرزهم خير الدين التونسي حيث شملت إصلاحات مختلف الميادين

سوف نتطرق في هذا الفصل إلى :

- مفهوم الحركة الإصلاحية وقيامها
- أهم العوامل التي ساعدت في ظهور الحركة الإصلاحية
- خصائصها

المبحث الأول: بدايات الحركة الإصلاحية في تونس.

المطلب الأول: تعريف الحركة الإصلاحية.

أ- لغة:

"مصدر أصلح يصلح وهي مأخوذة من مادة (ص. ل. ح) التي تدل على اختلاف الفساد يقال: صلح الشيء".

يصلح إصلاحا ويقال أيضا: صَلَحَ بفتح اللام.

وقال ابن المنظور الإصلاح: "نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد إفساده أقامه".

والصلاح بكسر الصاد مصدر كالمصالحة والعرب يؤنثها والاسم الصلح يذكر ويؤنث.

وأصلح ما بينهم وصالحهم مصالحة وصلاحا.[1]

ورد الإصلاح في القران الكريم منها قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

وقوله تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[3]

اصطلحا وتصالحا وصالحا، بتشديد الصاد والمصلحة واحدة المصالح ولاستصلاح ضد الإستفساد.[4]

---

[1]- صالح بن عبد الله بن حميد بن حميد بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن ملوح: نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم–، ط1، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، 2010م، ص 364.

[2]- سورة آل عمران، الآية 89.

[3]- سورة الشورى، الآية 40.

[4]- محمد بن أبي أبكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة بيروت، لبنان، 1986، ص 154.

جاء في كثير من المعاجم اللغوية العربية لفظ الإصلاح الذي يقابل الفساد، حيث ذهب المفكر عابد الجابري إلى القول "المعاجم العربية القديمة لا تسعفنا بأي تعريف للإصلاح، غير قولها أن الإصلاح ضد الفساد، وإذ بحثنا فيها عن معنى الإفساد ردتنا إلى الإصلاح بقولها الإفساد ضد الإصلاح"

الإصلاح من فعل أصلح يصلح الشيء أي جعله ذا فائدة، وهو أيضا إزالة التلف والضرر وجلب المنفعة والسلامة، أشار الباحث عماد صلاح عبد الرزاق راود " أن الإصلاح والفساد في اللغة مثلا زمان فالإصلاح هو ضد الإفساد وهذا التلازم يمكن تفسيره تاريخيا بكون الإصلاح ظهر مع ظهور أولي حالات الفساد في الأرض"[1]

نجد في سورة النساء ذكر معنى الإصلاح في قوله تعالى﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]

تجمع معظم المقاييس والمعاجم على أن الإصلاح في اللغة الفرنسية يقابل "REFORME" فهذا التباين واضح في مدلول الألفاظ بين اللغتين واللغة العربية.

في الإنجليزية تشير الكلمة: "REFORME " إلى العمل الذي يحسن الظروف أما في اللغة الفرنسية تفيد معنى الإعادة تشكيل.[3]

---

[1]– مسلم بابا عربي: محاولة في تأصيل مفهوم الإصلاح السياسي، الدفاتر السياسية والقانونية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع9، 2013، ص ص 234،235.

[2]– سورة النساء الآية 114.

[3]– مسلم بابا عربي: المرجع السابق، ص 236.

جاء في مقاييس اللغة "إستصلح الشيء ضد إستفسد والصلاحية هي الحالة التي يكون بها الشيء صالحا، والمصلح اسم فاعل والمصلحة ما يترتب على الفعل ويحث على الصلاح ومنه يسمى ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال الباعثة على نفعه أو نفع قومه بالمصلحة"[1].

قسم ابن القيم الصلح إلى نوعين:" الصلح الأول الجائز بين المسلمين والذي يعتمد فيه رضا الله ورضا الخصمين فهذا أعدل الصلح وأحقه وهو يعتمد على العلم والعدل، والنوع الثاني الصلح الذي يحل الحرام ويحرم الحلال، كالصلح الذي يتضمن تحريم حلال أو إحلال بضع حرام أو أكل الربا"[2]

لقوله تعالى:﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3]

ب- اصطلاحا:

هو التغيير الاجتماعي المحدود الذي يشمل على تحسينات تدريجية التي تقوم بها القيادة سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية.[4]

وهو أيضا: عقد يرفع النزاع وهو بمعنى المصالحة

وهي المسألة خلاف المخاصمة وأصله من الصلاح ومعناه دال على حسنه ذاتي.[5]

---

[1]- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الحيل، بيروت، لبنان، 2000، ص 848.

[2]-علي بن غازي التويجري: الإيضاح لما ورد في الكتاب والسنة بشأن الإصلاح، جامعة إسلامية مدينة منتورة، دار الإستقامة، مصر، 2019، ص5.

[3]- سورة الحجرات الآية 9.

[4]- وضاح زيتون: المعجم السياسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 35.

[5]- صالح بن عبد الله بن عبد الحميد: المرجع السابق، ص 364.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]

نرى أن الفكر الاجتماعي الغربي ميز بين الإصلاح والثورة في مستوى التغيير، فرأى أن الثورة عبارة عن تغيير جذري وشامل عكس الإصلاح الذي هو جزئي وسطحي، أما من حيث المضمون الإسلامي العربي رأى أن كل من الثورة والإصلاح لهما نفس المعنى يعني تغيير شامل وعميق وصفت رسالات الرسل على أنها دعوات للإصلاح[3]، فرسول الله شعيب عليه السلام ينادي أهل مدين: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[4]

إن معيار كل إصلاح بالمعنى الإسلامي إذا هو مدى التزام التجربة الإسلامية موضوع النظر النموذج الأصل، كما قدمته حقبة الدعوة والخلافة الراشدة، ومن ثم فالإصلاح لا يفترض تجديدا أو إحداثا على الأصل لأن ذلك قد يؤول[5] إلى ابتداع، وهذا الأخير هو الحامل على إجراء الإصلاح، إن معنى الإصلاح بمفهومه

---

[1]– سورة الحجرات، الآية 9.

[2]– سورة الأعراف، الآية 85.

[3]– محمد عمارة: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 1938، 134.

[4]– سورة هود، الآية 88.

[5]– فريد حاجي: نظرة ابن العنابي وخير الدين للإصلاح، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2001، ص 15.

الحديث يتداخل أحيانا مع معنى التحديث والاجتهاد إذا الفعل الإصلاحي فعل تحديث أو عصرنة، وهو فعل لا يتم ولا يستقيم إلا بإطراح التقليد والتماس الاجتهاد، فالتحديث يتعلق بالوجود الاجتماعي. [1]

جاء دالا على النموذج الإنساني لقوله تعالى﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

كما دل على الخير لقوله تعالى﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3]

ذكر الإصلاح في الأحاديث النبوية الشريفة فعن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" رواه مسلم[4]

لكن من بداية من تسعينات القرن العشرين سنلاحظ شيء من التغيير في مضامين المصطلح الإصلاح السياسي حيث ذهب Geradol munck إلى أن الإصلاح يمكن النظر إليه على أنه التغيير في أنماط وسلوكيات بشكل جذري أو تدريجي خلال فترة زمنية محددة على جماعة بشرية، فالإصلاح قد يكون تدريجيا كما قد يأخذ طابعا جذريا وزيادة على أنه ليس مقصورا على النبي والمؤسسات بل يشمل الأنماط واللوحيات.[5]

---

[1]– فريد حاجي: المرجع السابق، ص 16.

[2]– سورة الأعراف الآية 168.

[3]– سورة النساء الآية 114.

[4]– يحيى بن شرف الدين النووي: شرح متين الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط4، مكتبة دار الفتح، دمشق، سوريا، 1984، ص 91.

[5]– مسلم بابا عربي: المرجع السابق، ص 237.

مفهوم الدعوة الإصلاحية من خلال كتاب الدعوة الإصلاحية وأعلامها " هي تلك الجهود الكبيرة والأعمال الجليلة التي قام بها مجموعة من مصلحين لتصحيح الأوضاع الدينية والأحوال الإجتماعية التي كانت سائدة في الوطن العربي.[1]

المطلب الثاني: قيام الحركة الإصلاحية.

تعود بدايات إشكالية الفكر الإصلاحي إلى إحتكاك العالم الإسلامي بالعالم المسيحي، أين ظهرت ضرورة لوجود نظم ومؤسسات تنهض بالعالم الإسلامي أمام التطور الأوروبي الذي يشمل كل مجالات الحياة، فظهرت نزعة تدعوا إلى نفض الغبار عن التراث الإسلامي، في حين تطرقت العديد من النزعات إلى الذوبان في المدينة الأوروبية التي مثلت أوج ما بلغه التطور البشري.[2]

دب الخلاف في الدولة العثمانية وأصابها الوهن والضعف وأصبحت كيانا ضخما ضعيفا، ترشقه سهام الأعداء من كل جهة في هذه الفترة، لم تنس الدول الأوروبية أن الدولة العثمانية كانت قوة جبارة في الماضي قامت بالعديد من الفتوحات في أراضيها فاستغلت أوروبا ضعف وضعيتها وانقضت عليها.

وسط هذه الأجواء تعالت صيحات المصلحين للخروج من هذا الوضع فكانت كل من تركيا، مصر، تونس، تدعوا إلى الإصلاح والتعليم ومقاومة الاستبداد، كانت أول تجربة إصلاحية في مصر قام بها محمد

[1]– عبد الله بن عبد المحسن المطوع: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420، ص 10.

[2]– عبد القادر قوبع: الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920– 1954، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2008، ص 43.

علي 1840، هذه الحركة كانت لها آثار جيدة على مصر[1]، بفضل مصلحيها أمثال رفاعة الطهطاوي[2]، محمد عبده.

كما نرى أن البلاد التونسية هي أيضا تأثرت بهذه التجربة فقد شهدت في عهد الباي أحمد سنة 1837- 1859 نهضة مماثلة بحيث أن الباي كان معجبا وشديد التأثر بمحمد علي فبدأ بإصلاح جيشه وبنائه.

نذكر خير الدين باشا التونسي الذي كانت له يد في حركة الإصلاح التي شهدتها البلاد بحيث عرف ب " أبو النهضة " وكان الحامي الأول للأراضي التونسية من الأطماع الفرنسية[3]، شهدت البلاد العديد من التطورات بسبب التدخل الأجنبي في شؤون الشعب، ولقد تأثر جامع الزيتونة سلبا وإيجابا، والحق أن فكرة الإصلاح لم تغب على أذهان الشعب، فالقران الكريم أكد فكرة الإصلاح [4] ، لقوله تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[5]

كان انطلاق الحركة الإصلاحية في عهد التنظيمات العثمانية كانت موازية للحركتين المصرية والتركية، إن أغلب الإصلاحات كانت إما عسكرية أو دستورية.[6]

---

[1]- محمود محمد علي: خير الدين التونسي منارة الإصلاح والتنوير في تونس، جامعة أسيوط، مصر، ص ص 3-6.

[2]- رفاعة بك رافع الطهطاوي: هو السيد رفاعة بك بن بدوي بن محمد بن علي بن نافع ولد في طهطا بمديرية جرجا من صعيد مصر، عند وفاة والده انتقل إلى القاهرة ة انتظم في سلك الطلبة بالجامع الأزهر سنة 1223م وجاهد في المطالعة ودرس ونال في العلم شيئا كثيرا ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الأعلام في الفقه واللغة والحديث ، ... للاستزادة ينظر؛ جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 31.

[3]- محمود محمد علي: المرجع السابق، ص 6.

[4]- رابح فلاحي: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908- 1954، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة،الجزائر، 2008، ص 3.

[5]- سورة هود، الآية 88.

[6]- أرنولد قرين: العلماء التونسيون 1873- 1915، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون وبيت الحكمة، تونس 1995، ص 138.

المبحث الثاني: عوامل ظهور الحركة الإصلاحية وأهم خصائصها.

المطلب الأول: عوامل ظهور الحركة الإصلاحية.

تتميز العوامل التي وقفت وراء الحركة الفكرية بأنها متشابهة ومتشابكة التأثير في بعضها البعض، سنحاول في هذا المبحث تقسيم عوامل ظهور الحركة الإصلاحية داخليا وخارجيا والتطرق إلى أهم خصائص ومميزات الحركة الإصلاحية.

أولا: العوامل الداخلية:

أ- **الجانب السياسي:** عجزت الحكومة التونسية عن تسديد الديون التي أقرضتها القوى الأجنبية مما جعلها تحت نفوذها[1] ، كما نلاحظ أن طبيعة الحكم الفردي في تونس اتسمت بالبعد عن التبعية للدولة العثمانية، فقد حصل في أواخر سنة 1863 أزمة مالية في عهد محمد الصادق باي نتج عنها مضاعفة الضرائب[2].

حاول رجال الإصلاح كسب العالم الإسلامي قوة تمكنه من التغلب على مختلف المخاطر وذلك من خلال الاقتباس من النظم الأوروبية التي تفوقت على الدول الإسلامية وأصبحت أكثر ازدهارا ورقيا[3]، إن بداية حركة الإصلاح في القرن التاسع عشر كانت من أجل تحسين الأنظمة بقيادة ضباط وأعوان البايات الذين تخرجوا من المدرسة العسكرية بباردو[4] التي أسسها أحمد باي سنة 1840[5]، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر

---

[1]- علي المحجوبي: المرجع السابق، ص 9.

[2]- عبد الجليل التميمي: المصدر السابق، ص 20.

[3]- أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص 122.

[4]- المدرسة الحربية بباردو: كان تأسيس المدرسة الحربية سنة 1840 بمثابة ثورة في قطاع التعليم على مستويين المضمون والشكل، ولهذا كانت هذه المدرسة أول نواة للتعليم العصري أدرجت في برامجها إلى جانب العلوم الدينية واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا بعض العلوم العقلية. ... للاستزادة ينظر؛ حسن اللولب: دور الصحافة العربية في تفعيل الوعي الوطني بالبلاد التونسية 1860- 1912م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2000، ص 10.

[5]- أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص146.

كانت ولاية تونس ضعيفة لأن الباي كان ذا حكم عتيق ومعظم أوقاته يقضيها في القصر، بحيث أنه لم تمن له خلفية حول فنون الحكم.[1]

بعد وفاة حمودة باشا في سبتمبر 1814، وانقرض فريق الحكم الذي كونه، والأكثر من ذلك اندفاع القوى السياسية الأوروبية، خاصة بعد عودة الأمن في أوروبا سنة 1815 بفضل الثورة الصناعية وما وفرته من قوى عسكريو وفكرية، فقد بدأت أوروبا بحملتها ضد بلدان شمال إفريقيا وذلك بتوقيف نشاط القرصنة.[2]

منذ سنتي 1877- 1878م بدأ السباق نحو احتلال البلاد التونسية بين الدول الأوروبية مذكر منها: فرنسا وايطاليا، ونرى أيضا أن انفتاح البلاد للمنتوجات الأوروبية نتجت عنه صعوبات مالية لا يمكن مواجهتها.[3] اتسمت سياسة في عهد محمد الصادق باي بمحاولة التفريق بين اتجاهين هما محاولة الحفاظ على الارتباط بالدولة العثمانية ثم الاندفاع بقوة نحو فرنسا، فقد تميزت سياسة البايات بالتباعد عن الدولة.[4]

ب- الجانب الاقتصادي: كانت تونس تتمتع أثناء القرن الثامن عشر بهيبة واضحة في البحر المتوسط فأحوالها الاقتصادية كانت مزدهرة وقد تعاملت مع القوافل التجارية من قلب إفريقيا حاملة إليها مختلف المنتجات، وكان دورها توزيعها على أوروبا، لكن لم يبق الحال إلا أنها فقدت أسطولها نتيجة ضغط الدول الأوربية عليها.

لجأت تونس للعمل في القرصنة، هذا الأمر أثر على تجارتها وقد فقدت أهميتها التجارية والأكثر من ذلك نرى أن التجار الأوروبيين قد تمكنوا من الوصول إلى المنتجات الإفريقية، أدى هذا إل انهيار الأسطول

---

[1]- جلال يحيى: مدخل إلى العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965، ص 241.

[2]- محمد هادي شريف: المصدر السابق، ص 96.

[3]- نفسه: ص 97.

[4]- بن بلغيث الشيباني: المرجع السابق ، ص65.

التونسي، في سنة 1815 قامت الدول الأوروبية بالضغط على الجزائر باسم القضاء على القرصنة وضغطت أيضا علو تونس، كما أن الأسطول البريطاني قام بحملة تأديبية على تونس كما أنها واجهت إنذارا من الحملة المشتركة البريطانية الفرنسية، صرح باي تونس الذي كان أكثر رضوخا من داي الجزائر بمنع التونسيين من فرض الإتاوة على الأوروبيين ومنعهم من اسر المسيحيين.[1]

خضع محمد الصادق للنفوذ الأجنبي وازدادت الامتيازات الفرنسية في تونس فكانت كل من فرنسا وايطاليا تطمعان في الاستيلاء على تونس، وقد أصدر الباي دستور عهد الأمان[2] وهو محاولة للتوثيق بين الاتجاه الإسلامي المتمثل في الشريعة الإسلامية والقوانين العصرية في البلاد الأوروبية.[3]

كانت تونس من الناحية الاقتصادية مزدهرة فقد أعطى دوفايري صورة عن هذا الوضع " إن مناطق الشمال والشرق الخصبة والمعرضة للأمطار الشتوية تذكرنا بالمناطق الأكثر حظوة بجنوب أوروبا"[4]

لعبت القبائل دورا هاما في اقتصاد البلاد من خلال تربية الأغنام فهي توفر الصوف والجلود وتعتبر جزء لا يستهان به، فالصناعات التونسية كالأقمشة والشاشيات عرفت تدهورا فالحكومة لم تستطع صنع أو تحديد دخول هذه البضائع بسبب الامتيازات الأجنبية، فقد غمرت المنتجات الأوروبية الإيالة.[5]

ت- الجانب الثقافي والاجتماعي: نلاحظ أن سنة 1865 كانت سنة فقر ومجاعة لدى التونسيين وانعدام وسائل العمل، فقد عمل الباي وأعوانه على سلب كل أسباب الرزق زيادة إلى التعذيب والقمع[6]، ومع بدية القرن

---

[1]- جلال يحيى: المرجع السابق، ص ص 237،238.

2- ينظر للملحق رقم 2، ص 83.

[3]- إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص 140.

[4] -علي المحجوبي: المرجع السابق، ص 17.

[5]- نفسه: ص 19.

[6]- احمد عبد السلام: المرجع السابق، ص 18.

الثامن عشر قل السكان وتراجع العمران مما أدى إلى تردي الحالة الصحية بسبب حدوث حركات تمرد واسعة ضد الحكام وتعسفهم يقول بن أبي ضياف " وفي هذه المدة احتبس الغيث ووقع قحط شديد وتعسر الإيتان بالميرة لوقوع الحرب يومئذ" [1]

أما فيما يخص الواقع الثقافي نجد بوادر الإصلاح بدأت من جامع الزيتونة[2] يعتبر من أقدم الجوامع في الشمال الإفريقي وعرف باسم الزيتونة لقوله تعالى: ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]

كان فضاء للتعليم تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف مواضيعها وقد تم تنظيمه منذ القرن التاسع والملاحظ أن التعليم الزيتوني كان يعيش أزمة من خلال طريقة تدريسه التي كانت عتيقة تقوم على استعمال الشروح وهو ما دعا إلى ضرورة إصلاحه.[4]

---

[1]– احمد عبد السلام: المرجع السابق، ص 18.

[2]– جامع الزيتونة: تأسس سنة 757م يعد من أهم المنارات العلمية التي امتد إشعاعها إلى كل البلدان الإسلامية بفضل علمائه الذين تخرجوا منه، وهو يعتبر حصنا من الحصون المتينة المدافعة عن اللغة العربية والشريعة الإسلامية إلى جانب الجامع الأزهر فدوره لا يقتصر على أداء العبادات فحسب وإنما ليتخطى ذلك إلى دور إجتماعي وتنموي فاعل. ... للاستزادة ينظر؛ فاطمة الزهراء رحماني؛ محمد رابح: موقف علماء الأزهر والزيتونة من الفكر التحديثي خلال القرن التاسع عشر، مجلة رؤى التاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مجلد1، ع 1، الجزائر، 2020، ص 4.

[3]– سورة النور الآية 35.

[4]– حسن اللولب: المرجع السابق، ص 53.

ثانيا: العوامل الخارجية.

هنالك العديد من العوامل الخارجية التي كان لها دور كبير في ظهور الحركة الإصلاحية وهي كالآتي:

أ- إصلاحات محمود قابادو وخير الدين باشا التونسي:

ظهرت الحركة الإصلاحية في القرن التاسع عشر في عهد محمود قابادو وخير الدين باشا التونسي، بحيث رأى محمود قبادو [1] أن الانحطاط الذي وصل إليه المسلمين بسبب تركهم العلوم وللخروج من هذا الوضع لا بد الاقتباس من العلوم الأوروبية.[2]

اعتبر خير الدين باشا التونسي التطور الذي حصل في أوروبا بفضل النظم السياسية التي أدت إلى التطور فقد بنيت على العدل والحرية، كما بينه في كتابه " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"[3].

يعتبر قابادو من سادة التعليم في تونس، انتقل إلى الزيتونة وتولى القضاء في المكتب الحزبي باردو ثم الفتوى، كان له أثر كبير في الحركة الإصلاحية، بحيث قال فاضل بن عاشور عنه: " وجدت هذه الدعوة نفوذ ما بين وسطين كان على كل منهما سيطرة لعلم قابادو وفكره.... هذان الوسطان أولهما المدرسة الحربية.... وثانيهما وسط جامع الزيتونة الذي أثر بطريقة النقدية في التعليم"[4]، درس بجامع اسطنبول، والتحق بمدرسة الحرب بباردو ثم جامع الزيتونة، وأفاد من علومه الإسلامية والعربية والدينية، وتولى خططا شرعية منها قاضي

---

[1]- محمود قابادو: ولد سنة 1812م، كان آية في الحفظ ما يحفظه رجع إلى تونس وانخرط في سلك المعلمين في المكتب الحزبي وخصص بتدريس العلم الرياضي وتدريس اللغة العربية. ... للاستزادة ينظر؛ محمود قابادو: نصوص ودراسات على الأدب العربي في إفريقيا، مطبعة العرب بنهج الديوان، تونس، 1951، ص ص، 4، 9..

[2]- رابح فلاحي: المرجع السابق، ص 38.

[3]- نفسه: ص 39.

[4]- نقولا زيادة: تونس في عهد الحماية، الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1963، ص38.

العسكر بباردو[1]، يعتبر شخصية إصلاحية ذات شأن في حركة التجديد مكنه منصبه التعليمي في المدرسة الحربية وجامع الزيتونة في أن يبث في إطارات الجيش التونسي الوعي الديني، وأن يحض طلبته على إقبالهم لجميع العلوم[2].

اختلف الباحثين في طبيعة الإصلاح عند محمد عبده[3]حول ما ان كان مصلحا أخلاقيا ووسيلته الدين أو سياسيا أو اجتماعيا، رأى أن العلم أيضا هو سر تقدم الدول الغربية ويجب الأخذ من تلك العلوم لتحقيق النهضة.[4]

ب- تأثير الصحافة:

من بين العوامل التي دفعت لظهور الحركة الإصلاحية الصحافة وكان لها دور كبير في النهضة الفكرية، عرفت تونس سنة 1860م العديد من الصحف العربية التي ساهمت في نشر الفكر الصحيح وبعث الهمم في نفوس التونسيين.[5]

من بين الجرائد التي صدرت جريدة سبيل الرشاد لعبد العزيز الثعاليبي[6] التي أنشأت سنة 1904م لعبت دورا أساسيا في نشر الفكر الإصلاحي.[7]

---

[1]- محمد الحبيب بن خوجة: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد طاهر بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008، ص 116.

[2]- بلقاسم غاني: شيخ الجامع الأعظم، دار ابن الحزم، لبنان، 1996، ص 20.

[3]- محمد عبده: حسن خير الدين المصري ولد بقرية شبشير، حفظ القران الكريم ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بطنطة لتلقي دروس التجويد. ... للاستزادة ينظر؛ منير صغيري: "الفكر الإصلاحي التجديدي للشيخ محمد عبده وأثره على الحركة الإصلاحية في الجزائر"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،ع 6، تلمسان، الجزائر، 2013، ص 257.

[4]- عاطف العراقي: الشيخ محمد عبده بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره، المعهد العالي للثقافة، العراق، 1995، ص 81.

[5]- رابح فلاحي: المرجع السابق، ص 41.

[6]- عبد العزيز الثعالبي: بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي ولد في مدينة تونس 5 سبتمبر 1874 حفظ القرءان الكريم منذ نعومة أضافره، درس النحو والعقائد. ... للاستزادة ينظر؛ أنور الجندي: عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية 1879- 1944م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984، ص 10.

[7]- رابح فلاحي: المرجع السابق، ص 41.

كما نجد جريدة الرائد التونسية[1] التي تأسست على يد محمد الصادق باي وصدرت تحت شعار " حب الوطن من الإيمان فمن يسعى في عمران بلده فإنما يسعى في إعزاز دينه" صدر عددها في 22 جويلية 1860م، تعتبر الجريدة أول منبر في إصلاحات ستة 1861م، ودفاعها عن الحركة الإصلاحية.[2]

إضافة إلى مجلة المنار التي برزت سنة 1898م وعملت على نشر مبادئها، وقد وجدت تجاوبا عميقا في نفوس دعاة الإصلاح بحيث كان لها تأثير قوي في توجيه الحركة الفكرية بتونس[3]،وفي سنة 1883م أصدر الفرنسيون جريدة رسمية باللغة الفرنسية إلى جانب الرائد التونسية، وأول صحيفة فرنسية صدرت في 1884 باسم تونس جورنال (أي جريدة تونس) وكانت تدافع عن مصالح الجالية في تونس[4].

ت- حركات التجديد في الشرق العربي:

[1]- جريدة رائد التونسية: تأسست سنة 1860م على يد محمد الصادق الباي، في زمن الإصلاحات مثلت الصحيفة حاملا معنى للمعارف والأخبار. ... للاستزادة ينظر؛ محمد البشير الرازقي: "مدينة تونس خلال النصف من القرن التاسع عشر من خلال جريدة الرائد التونسية"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، تونس، ع2، 2020، ص 61.(ينظر للملحق رقم 3)، ص 84.

[2]- حبيب حسن اللولب: المرجع السابق، ص ص 24، 25.

[3]- فتحي معيقي: "النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، ع 2، 2019، ص 178.

[4]- الياس طلحة: "تاريخ الصحافة المكتوبة في بلدان شمال إفريقيا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع14، 2017، ص 177.

تعتبر حركة التجديد الإسلامي بزعامة جمال الدين الأفغاني[1] ومحمد عبده من العوامل التي أثرت في الحركة الإصلاحية التونسية وذلك من خلال جريدة العروة الوثقى[2]التي انتسب إليها محمد السنوسي ومحمد النجار.[3]

أما محمد عبده فقد كانت له تأثيرات أكثر وضوحا لما لقيته دعوته من قبول لأنها كانت تساهم في بعث النهضة العربية الإسلامية من خلال الرجوع إلى القران الكريم والسنة.[4]

قام محمد عبده بزيارة تونس سنة 1884 وحضر دروسا بجامع الزيتونة وقد اتصل به العديد من التونسيين وكان لزيارته أثر كبير في النخبة التونسية وقد نتج عن هذه الزيارة إنشاء المدرسة الخلدونية في تونس أعاد محمد عبده زيارة تونس سنة 1903م، والتقى بمشايخ وعلماء وألقى محاضرة بعنوان " العلم وطرق التعلم" كانت عنوانا جديدا للإصلاح.[5]

---

[1]– جمال الدين الأفغاني: هو السيد محمد بن جمال بن السيد صفتر، ولد في بيت شرف وعلم بقرية أسعد أباد ببلاد الأفغان سنة 1839 تلقى مبادئ العلوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه ... للاستزادة ينظر؛ جرجي زيدان: المرجع السابق، ص 68.

[2]– جريدة العروة الوثقى: تأسست سنة 1882 برزت إلى الوجود وكانت ذات طابع سياسي سري أسسها جمال الدين الأفغاني هدفها تحرير العالم الإسلامي ... للاستزادة ينظر الطاهر عبد السلام: الحركة الوطنية التونسية شعبية قومية جديدة، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص 31.

[3]– فتحي الحبيب ابن خوجة: المرجع السابق، ص 73.

[4]– رابح فلاحي: المرجع السابق، ص 42.

[5]– نفسه: ص ص 42، 43.

بالإضافة إلى عامل أخر وهو حملة نابليون بونابرت 1798– 1805م والتي أدت إلى قيام نهضة فكرية في مصر والعالم الإسلامي[1]، في سنة 1839م تولى السلطان عبد المجيد الحكم وأظهر بعض التنظيمات الخيرية وقام مصطفى رشيد باشا بالإعلان عنها وهي خط شريف كلخان وخط همايون.[2]

المطلب الثاني: خصائص الحركة الإصلاحية.

تتسم الحركة الإصلاحية بمجموعة من الخصائص مثلها مثل باقي الحركات الأخرى، انطلاقا مما سبق نستطيع أن نوجز في ذكرنا هذا بعض الخصائص:

حسب تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري فان الحركة الإصلاحية لها مجموعة من المميزات وتم ذكرها في النقاط التالية:

القضاء على مظاهر الإنحراف كالبيع وذلك بالإعتماد الكلي على شريعة الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإصلاح أوضاع المسلمين عن طريق توجيههم في عبادة الله وفق الكتاب والسنة بعيدا عن الجهل وجود حركة علمية ساهمت في نشر العلم في مختلف الميادين في بلدان مختلفة وإحياء عقيدة السلف الصالح ومنهجهم في العديد من المسائل الشرعية.[3]

" وجود طرف أخر نود أن نبين على أساسه وجه الخصوصية ولاشك أن هذا الطرف ليس فقط المشرق العربي الذي حاول العديد من المتتبعين للشأن الإصلاح إضفاء المركزية على تجربته الإصلاحية واعتبار الباقي مجرد (هوامش وتوابع وتلاميذ) لهذه التجربة، بل هناك تجارب إصلاحية عديدة في بلاد متفرقة كالهند مثلا مع المصلحين احمد خان(1817 – 1898).

---

[1]– عبد الرحمان رافعي بك: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، مطبعة النهضة، مصر، 1930، ص 162.

[2]– جلال يحيى: المرجع السابق، ص 189.

[3]– عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع: المرجع السابق، ص ص 236، 237.

وجود عناصر الخصوصية في الطرف المقابل مختلف زمانا ومكانا وأشخاصا وأيضا من أهم ما تحمله الخصوصية هي وجود أمور عامة مشتركة متفق عليها شكل الإطار الكلي وعناصر أخرى شكل الخطوط العريضة " [1]

تزامن الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي كظهور الحركة الوهابية في الدولة العثمانية وحركة محمد علي[2] في مصر[3] .

لا شك أن لكل حركة إصلاحية خصوصية نتيجة لملابسات عديدة منها الزمان والمكان وروادها الذين حملوا مشروع النهضة والتغيير ونوعية الأزمات التي تواجهها وهذا ما يؤثر بالتعديل والتطور في أفكار إصلاحية العامة سواء في إطار المدرسة الواحدة أو عبر حياة زعيم واحد من زعمائها.[4]

من أبرز السمات المميزة للحركات في الدول المغرب العربي هي حداثتها بمعنى أن هذه الحركات تعد فتية إذا ما قورنت بغيرها من الحركات التي ظهرت في المشرق العربي، فهي لم تظهر ظهورا كاملا[5].

---

[1]– محمد علا: جهود الإصلاح ي مغرب الإسلامي – سؤال الخصوصية في تجربة خير الدين تونسي الإصلاحية–، الحياة الطيبة أبحاث ودراسات، ع 32، 2015، ص 232.

[2]– محمد علي: ولد من سلالة ألبانية في بلدة قوله وطن الاسكندر الأكبر عام 1769 تعلم في صغره ألعاب السيف والقوة فبرع فيها، وعندما أصبح شابا انظم في سلك الجيش، ترك الجيش وعمل في التجارة خاصة تجارة التبغ واستمر الامر هكذا حتى عام 1801م عندما ارادت الدولة العثمانية ارسال حملة الى مصر لاخراج الغزاة الفرنسيين ... ... للاستزادة ينظر؛ بن عيسى فاطمة: "تجربة محمد علي في إقامة وحدة عربية بمساعدة الدول الأوربية وموقف الدولة العثمانية منه"، مجلة آفاق الفكرية، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، ع3، 2020، ص ص 89،90.

[3]– جمال الدين الشيال: محاضرات على الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، مؤسسة الهند واي، المملكة المتحدة، الإمارات، 2017، ص 55.

[4]– محمد علا: المرجع السابق، ص 10.

[5]– نغم محمد صالح: الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب– تونس– الجزائر)، ط1 ، الجنان للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، 2010، ص 168.

الفصل الثاني: شخصية خير الدين باشا التونسي

يعد خير الدين باشا من أهم الشخصيات التي برزت في العالم العربي الإسلامي في القرن التاسع عشر ،ومن الرجال الذين إرتبطت بهم الحياة الإصلاحية ،وذلك بسبب ما أصاب العالم العربي من سيطرة أوروبية و دخول الحركات الإستعمارية إلى العالم العربي و تفكيكه ،فقد تعرضت تونس إلى الضغوطات الأجنبية الأوروبية و بدأت السيطرة الإسلامية تتدهور فقد أصيبت الإيالة التونسية بأوضاع مزرية في مختلف الحالات مما أدى إلى ظهور هذه الحركة الإصلاحية التي تزعمها رجال سياسيين و مفكرين أدخلوا التجديد و الإصلاح و محاولات التغيير من أبرزهم شخصية خير الدين الذي لقب بأبو النهظة و من أحد رموز الإصلاح و الذي قام بإصلاحات جديدة مهمة في الإدارة و الإقتصاد و الصحة و التعليم ،فمن هو خير الدين التونسي ؟ وفيما تتجلى أهمية كتابه" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " ؟

المبحث الأول: التعريف بشخصية التونسي.

المطلب الأول: المولد والنشأة.

يعد خير الدين باشا من المصلحين في العالم العربي الحديث، وكان رجل دولة في زمن عز فيه رجال الدولة في ديار العرب وكان على علم بإدارته لشؤون الدولة التي تولاها[1]، ومن أبرز الشخصيات التونسية في القرن التاسع عشر وواحدا من الرجال الذين ارتبطوا بالحياة الإصلاحية[2] ويذكر محمد محفوظ أنه ولد سنة (1238هـ- 1829م)[3] فقد ولد في إحدى القرى الصغيرة بجبال القوقاز بقبيلة " إباضة " الشركسية، وتم اختطافه من تجار الرقيق وهو صغير وجاءت بهم القافلة إلى الأستانة، وقد أجاد الفرنسية مع العربية مع التركية، ولا معيته ومثابرته وذكائه في المناصب حتى أصبح الوزير الأكبر- أي رئيس الوزراء في تونس-[4] وأنه مملوك جركسي قد اشتراه أحمد باي الحسيني حكم تونس وتربى تربية خاصة وتقلد مناصب عدة سياسية مهمة في تونس[5] ونشأ باسطنبول في بيت أحد الباشوات وقدم إلى أحمد باي وعمره 17 سنة[6] وقد دخل خير الدين بيرم المكتب الحربي، الذي أنشاه الباي في تونس 1840، كما أعد من قبل إعدادا دينيا فتعلم من أيدي رجال الدين ما يستطيع تعلمه من أهل الزيتونة وما إليه، كما تم انضمامه إلى المكتب العسكري والاحتكاك برجال البعثة العسكرية والمجال للإطلاع على النواحي جديدة من الثقافة العصرية وهندسة وجغرافيا وتاريخ، وقد كان هذا

---

[1]- زيادة نقولا: المرجع السابق، ص 77.

[2]- سيار جميل: المرجع السابق، ص ص 196 ،450

[3]- محمد محفوظ: المصدر السابق ،ص 271.

[4]- صلاح أحمد زكي: المرجع السابق ،ص ص 28-30.

[5]- سيار جميل: المرجع السابق، ص 450.

[6]- بن بلغيث الشيباني: المرجع السابق، ص 69.

الشاب مفتوح الذهن نشيطا، وأصبح واسع للإطلاع متمكنا من المعرفة التقليدية والحديثة[1] وقد ولد في يوم ممطر وبارد ولقد شب خير الدين بين أحضان الطبيعة القاسية والعظيمة، وتعود على القفز في الغابة، والتحق بمملكة صغار المماليك، تعلم اللغة العربية الحديثة العهد، وكان يتمتع بخصال الرئيس المحترم والمطاع.[2]

ولم يكن الإصلاح عند خير الدين عشوائيا، فقد كان قائما على الفهم والدراسة وتحديد الهدف المنشود، ويعطي فكرة عن مبادئه التي يؤمن بها ويعشقها ويطبقها على رئاسته القصيرة[3] وعلى حد تعبير أحمد أمين " عقل رأى نفسه في الأشانة في أسرة غير أسرته، في بيت تحسين بك نقيب الإشراف، ليست سيدة البيت له أما، ولا تحسين بك أبا، ولا أبناء البيت إخوة، إنما يستمع همسا أنه عبد مملوك... ونظر فرأى تحسين يوما يعرض على رجل يفحصه كما تفحص السلعة، ويصعد فيه نظره ويصوب ويختبره من فرقه إلى قدمه، ثم يدفع مالا في يد تحسين وينتقل هو إلى يده، وهذا يركبه مركبا يبحر به إلى تونس، وإذا به في بيت جديد هو بيت أحمد باي[4]، باي تونس"[5] وما يمتاز به خير الدين من مواهب الرجل المدير والمتبصر وقام بعدة مهمات بالخارج وخاصة فرنسا. واستغل الزياراتفي دراسة أسس الحضارة الغرب ومؤسسات مختلف الدول، وقد قام بتأليف كتابه من خلال ما استخلصه من تلك الدراسات" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"[6]،وقد لقب خير الدين بأبو االنهضة التونسية وقد حفظ القليل من الآيات القرآنية وتجويدها والقليل من إتقان اللغة والتوحيد، والقليل من القراءة

[1]– زيادة نقولا: المرجع السابق، ص 78.

[2]– الصادق الزرملي: المرجع السابق ،ص ص 97، 98.

[3]– شوقي عطا الجمل: المرجع السابق ،ص 297.

[4]– أحمد باي : ولد هذا الباي في 21 من رمضان سنة 1221هـ (الثلاثاء 2 ديسمبر 1806م) وامه جارية ،وفاته يوم الأربعاء حضر جنازته العسكر بالسلاح ،... للإستزادة ينظر ،ابن أبي ضياف ،المرجع السابق ،ص 11.

[5]– زيادة نقولا: المرجع السابق، ص 77.

[6]– صادق الزمرلي: المرجع السابق، ص ص 99، 100.

والكتابة، وقد اكب على قراءة أمات الكتب في التاريخ والعلوم والفلسفة وكل ما استطاعت يده ميلا قويا إلى القراءة والمعرفة، ويحضه الباي على مجالسة أهل العلم والرأي[1]، وكان خير الدين التونسي اصدق في تجسيد لحياة رجل صنع القلم، وقد ترسخت في عقله ووجد أن التجارب والخبرة الواسعة منهجه ورؤيته للتقدم وكان اعتماده على" الشرع والعقل"[2] ولقد كان خير الدين محبا للإصلاح ومناصرا لقيمتي الحرية والعدل.[3]

وعند انتقاله للقسطنطينية لقصر احمد باي تونس، وتعلم الدين واللغات، وكذا انشأ نشأة عسكرية وتعلم على يد ضابط البعثة الفرنسية وأصبح ضابط في فرنسا، وكان الباي مسرفا في نفقاته وتوسم مصطفى خزندار[4] الذكاء والكفاءة في خير الدين وتنبأ له بتحسن المستقبل فزوجه من ابنته[5] وعرف عنه من توفا إلى معرفة شاملة ورحبة وقرأ من كتب العلوم والفلسفة وكل ما استطاعت يده أن تمتد إليه في مكتبة الباي، وكان ينتهي من كتاب حتى يضع يده في كتاب آخر، كما أنه برز في أعمال الفروسية وكان سريع البديهة، شجاعا ومقداما، وقد برز كقائد أيضا إلى جانب ثقافته العسكرية والعلمية والأدبية والسياسية والتاريخية المرموقة، وكان ذلك في قوة شخصيته وثقافته[6] وأكسبته مواهبه عطف الباي فعهد إليه بإدارة المدرسة العسكرية وأرسله إلى باريس وبقي فيها أربع سنوات، وكانت له كما الطهطاوي حقبة شيقة، وكان يراقب مجتمع سياسي كبير، ويطبق ذهنيا على عالمه

---

[1]– سمير أبو حمدان: المرجع السابق،ص ص 5، 25، 27.

[2]– صلاح أحمد زكي: المرجع السابق، ص ص 30–32.

[3]– مذكرات خير الدين بيرم التونسي : المصدر السابق، ص 5.

4– مصطفى خزندار : وزير المالية و الداخلية قبل خير الدين بيرم التونسي تولى الوزارة سنة 1837 – 1873م ،أثقل كاهل الشعب التونسي بالضرائب ... للإستزادة ينظر ،عبد القادر دوحة ،الإصلاحات السياسية و الإدارية لخير الدين تونسي في منتصف القرن 17م و علاقته بالعلاقة الغربية ،عصور الجريدة ،العدد 11 ،12 ،جامعة خميس مليانة، الجزائر، 2014م ،ص 261.

[5]– يحيى الجلال: المرجع السابق، ص 249.

[6]– سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص ص 25–28.

كل ما يتعلمه هناك[1] ولم يكن أحد يعلم أن الطفل خير الدين الذي فقد والديه سيشق طريقه بكفاح وجد واجتهاد بعلم وعمل وفكر مستنير وما درس وما نفذ ولم يرض يوما الذل والهوان لأمته وكان يرفض الجهل وقد أقبل على تحصيل الفنون العسكرية والسياسية والتاريخية وعين مشرفا على مكتب العلوم الحربية وفاز بمراتب عسكرية بجدارة، وقد أرسله أحمد باشا إلى فرنسا ليبيع مجوهرات الصرف ثمنها الإعانة حرب تركيا ضد روسيا.[2]

المطلب الثاني: تقلده المناصب.

عندما تولى احمد باي شؤون البلاد انشأ فرقة الخيالة ضمن الجيش النظامي الذي أحدثه فولى خير الدين باشا قيادة الفرقة برتبة رائد سنة 1846 أصبح أمير ألاي (عقيد) وفي 1850 [3] فقد اظهر خير الدين باشا وعيا ودرجة عالية من الشعور بالمسؤولية، وانه هو الناطق باسم جماعة من المصلحين مثال: ابن أبي الضياف و بيرم الخامس [4] ومن أولى مهامه السياسية انه كلف بالدفاع عن أموال الدولة في قضية محمود بن عياد الذي هرب إلى فرنسا واحتمى بها ونجح خير الدين في هذه المهمة، لذالك رقي إلى أمير ألأمراء،وعينه الباي في 1957 وزير للبحر ثم كان من بين الأعضاء الذين شرحوا عهد الأمان [5] وأول مكافأة حصل عليها الأمير خير الدين باشا " هو استتاب الأمن الذي تمتعت به الأيالة ، وفي المدن وكامل الأرياف، وصارت المرأة تنتقل وتجوف داخل البلاد، وقد مكن خير الدين باشا مكتبة عمومية في تونس وفيها أكثر من ألف مجلة من مكتبته الخاصة"[6] وعندما أصبح وزيرا في تونس لمدة ست سنوات قام في هذه الفترة بإصلاح ميناء حلف الوادي وإنشاء

---

[1]– ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص ص 109–114.

[2]– محمود محمد علي: المرجع السابق، ص 10–13.

[3]– الشيباني بن بلغيث: المرجع السابق، ص 69.

[4]– محمد الهادي الشريف: المصدر السابق، ط3، ص 99.

[5]– الشيباني بن بلغيث: المرجع السابق، ص 69.

[6]– مذكرات خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 269.

مصانع لبناء السفن ، وحاول تغيير نظام حكم الدولة بإنشاء مجلس لشورى القوانين والذي هو من أهم المشروعات التي عمل فيها خير الدين باشا وكان ارتباط هذا المشروع برجال الدين الذين حاولوا الإصرار على المزج بين خير الدين والدولة.[1]

وأيضا كانت من أعمال خير الدين باشا عند مجيئه للوزارة عندما كانت البلاد في فوضى عارمة سياسية ومالية ، وبعد سقوط خزنة دار لكنه لم يدم طويلا، من أعماله الهامة خاصة في ميدان الإدارة وتنظيم الوزارات وشؤون التعليم والأحباس وقد حاول توقيف تزييف الأموال، فحاربه أعداء الإصلاح من الداخل والخارج وقد ترك بصمته كوزير مصلح فوصفه احد الشعراء " وزير بدا كالسيف ارهن وحده يبادر أعناق المطامع الحسم"، وقد عرف عن خير الدين من وطنية ، ومن إخلاص وإصلاحات هامة وعدم إثبات أي انحراف أخلاقي في سيرته السياسية وقد عاش حياة متفرقة[2] ويذهب الزركلي إلى أن خير الدين باشا وزير مؤرخ من رجال الإصلاح ويضيف الزركلي في سنة 1877 ابعد في الوزارة وخرج إلى الأستانة وتقرب من السلطان عبد الحميد الثاني فولاه الصادرة العظمى فحاول إصلاح الأمور، ونصب عضوا في مجلس الأعيان [3] وكانت مهمة خير الدين باشا التونسي السرية إقناع الباب العالي بالاعتراف بالحكم الذاتي لتونس، وبقيت سياسة خير الدين باشا طوال عشرين سنة ذات شقين محاولة صد النفوذ الأوروبي بالنفوذ التركي وإقامة بعض الرقابة الدستورية على سلطة الباي والثاني: سياسته التي أفقدته ثقة الباي فاستقال من منصبه الوزاري إلا أن الباي لم يستغن على مهارة خير الدين باشا [4] الدبلوماسية وتعيينه رئيس الفرع التنفيذي " لجنة دولية الإدارة الواردات [5] وبعد تأسيس مدرسة الحربية بباردو

---

[1]– يحيى الجلال: المرجع السابق، ص 251.

[2]– بن بلغيث الشيباني: المرجع السابق، ص 70.

[3]– سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص ص 11، 12.

4– ينظر للملحق رقم : 04، ص 85.

[5]– ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص 110.

وهي إحدى ضواحي تونس تولى إدارة هذه المدرسة خير الدين وأصبح فيما يعد زعيم الخزنة الإصلاحية بتونس، وقد كان لعمله الإصلاحي التأثير الكبير الجوهري على تاريخ الخزنة الوطنية الإصلاحية في تونس قبل الاحتلال الفرنسي ومن جليل الأعمال التي أحبها لبلاده وتفانى في خدمتها [1] وقبل هذا في سنة 1874 بعد سقوط مصطفى خزنة دار قصدى لإصلاح الموقف ومحاولة معالجة ما وصلت إليه البلاد في جميع المجالات الإدارية والسياسية والثقافية [2] .

وأيضا في عام 1871م بعث مجددا إلى اسطنبول، وقد عين وزيرا للداخلية المالية الخارجية، واحتفظ بمنصبه مدة 4 سنوات لإجراء إصلاحات عديدة في هذه الفترة منها: تحسين الأساليب الإجرائية في الإدارة، إصلاح التعليم في جامع الزيتونة وإنشاء مكتبة وطنية، كما أنه انتهج سياسة إبقاء على التوازن بين الدول الثلاث التي لها مصالح مع تونس انجلترا وفرنسا وايطاليا وتعينه صدرا أعظم عام 1878م[3] وقد مهد أيضا لظهور طبقة الأولى من هؤلاء المجددين حيث أسس مدرسة الصادقية عام 1875م لتدريس العلوم الحديثة في إطار عربي، وفيها تخرج رواد الحركة التونسي أمثال: بشير صفر وعلي باشا حامية وقد أيد أيضا حركة الجامعة الإسلامية سياسته الرامية إلى التقرب للدولة العثمانية. والتي اشتهر روادها بالدعوة إليها فأشبهوا بذلك اتجاه الحزب الوطني المصري[4]وكان سبب سفر خير الدين باشا إلى فرنسا هو أن الباي تحقق عند الحرب بين الدولة العليا ودولة موسكو ورام أن يفعل أكثر من عادات أسلافه مع عسر الوقت وبعد سفره جمع رجال دولته وهو في فراش مرضه قال:" ان الدولة العلية لها حقوق علينا باعتبار العادة منها ان نوجه مراكبنا لإعاقة أسطولها

---

[1]– الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830– 1956)، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ص 18.

[2]– شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 297.

[3]– ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص ص 111، 112.

[4]– قدادرة شايب: المرجع السابق، ص 73.

حرب، ووقع لنا تعطيل عن إرسال شقوقنا بسببه فنصل الفرنسي بكلام كما تعلمون ولنا بفضلها حقوق باعتبار عاداتنا والمسارع لحقوقها الثابتة تقوية لحقوقنا المبنية على محض الفضل ورأيت أن لا تقتصر على العادة السابقة بل تريد على ما فعله سلفي بان نوجه عسكر لسائر ما يلزم بالأخبية والمهمات ونقوم بما يلزمه في مدة وجهته وتبعث ما عندنا من المراكب، فقالوا له" نعم الرأي لو ساعدته الجهة، وأنت ترى ما نحن فيه من الضيق" فقال لهم " الاعتماد على الله " ويضيف ابن أبي ضياف أن خير الدين باشا التونسي يتساهل في الاقتراض لمنه لم يصرح بذلك[1] وقد قام بإصلاحات عديدة عند عودته إلى تونس في الإدارة والتعليم والصحة والاقتصاد وساهم في إدخال المناهج والنظم الأوروبية الحديثة إلى الدولة التونسية، وكان عضوا في اللجنة التي أصدرت " عهد الأمان " عام 1857م في عهد الباي محمد الصادق، وأتم إصلاحاته فأنشأ أول محجر صحي في تونس العاصمة وأحدث إدارة جديدة للوقفيات، وقام بتوزيع أراضي الدولة على صغار الفلاحين وقد شجعهم على زراعة الزيتون والنخيل، وقد أعفاهم من الضرائب، كما أنه استفاد من ثقافته المستنيرة في سياسته، وأكمل إصلاحاته بإصلاحات من سبقه من البايات ومن إنجازاته أيضا:

- فتح الطرق وتعبيدها، توسيع الخطوط والمواصلات.
- تحديث برامج ونظم التعلم في جامع الزيتونة في العاصمة التونسية.
- تشجيع زراعات معينة وإلغاء الضرائب على الأراضي الزراعية.
- تأسيس نظام جديد للأوقاف والتجارة والضرائب المالية.[2]

[1]– ابن أبي ضياف: اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج2، ج 4، ترجمة، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، الباب السادس، تونس، 2004، ص 156.

[2]– سيار جميل: المرجع السابق، ص ص 450–451.

وعزم خير الدين باشا على امتلاك ما آلت إليه مملكة الحفصيين من الهرم والاضطراب وربما كان بإيجاز من السلطان سليمان القانوني، وخرج من الجزائر بجيش من الأتراك وقد استولى على بنزرت، وبلغ الخبر للحسن الحفصي، فهرب من الحاضرة ودخل خير الدين تونس سنة 1935م وحطي بها للسلطان العثماني وسكن الثائرة وأمن الناس فاستتب له بها الأمر[1] وقد كان خير الدين الحامي الأول للأراضي التونسية من الأطماع الفرنسية وقام بمناهضة الحكم الاستبدادي القائم على الحكم الفردي سواء في تونس أو في الأستانة، وساهمت زياراته لأثني عشر بلدا أوروبيا منهم (فرنسا، انجلترا، بلجيكا، النمسا، ألمانيا، ....الخ) ولفت نظره المدينة الحديثة هو نزعتها الديموقراطية وقد انبهر بمظاهر التقدم الأوروبي في مختلف المجالات (سياسيا، اقتصاديا، عمرانيا، ثقافيا) وقد أيضا على برنامج يقوم على ثلاث محاور أساسية هي:

1- الاعتقاد الجازم أن الحرية شرط العمران.

2- الإيمان الواضح بعدم التعارض بين الإسلام والحياة العصرية أو بين النقل والعقل.

3- التسليم بحتمية التطور وضرورة الخروج من التخلف والدخول في الحداثة.[2]

إذ أنه لا يمكن تقديم وصف دقيق للفترة التي تولى خير الدين التونسي فيها الصدارة العظمى في الأستانة، غير أنها كانت فترة حرجة وعصبية فالسلطة تتناهشها الدول الأوربية وتقتسم أملاكها مثلما يقتسم الورثة أملاك أبيهم، فما كان على خير الدين إلا أن يواجه كل ما يتعلق بالدولة خارجيا وداخليا، فقد جعل مقره في رئاسة الوزراء بيته ومقرا إقامته الدائم، فكان يأكل وينام هناك وهناك يستقبل أفراد عائلته ويعقد الاجتماعات المطولة مع

[1]- حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة من تاريخ تونس، ط3، مطبعة الفنون، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، محرم، 1373، ص 126.

[2]- محمد محمود علي: المرجع السابق، ص 5-18.

وزرائه[1]وقد حاول هذا الوزير أن يؤسس من جديد إدارة نزيهة منتظمة، وأن يطهر الحالة المالية المتعفنة فقد أحرز بعض النجاح وأعطى الفلاحة والصناعة نفسا جديدا وقد حاول أيضا أن يعيد النظر في تنظيم شون القضاء والتعليم وهو مؤسس المدرسة الصادقية[2] وسرعان ما عين وزير دولة حيث كان يدعى لحضور مجلس الوزراء عندما يجتمع البحث المسائل الخطيرة، ولم يمض شهر إلا وسمع من كبير الوزراء أن السلطان يرشحه لوزارة العدل، فرجا منه كل ما توسم فيه الجاه أن يسعى لعدم إتمام ذلك وينصب خير الدين في أيام تواجد الدولة العلمانية فيها شدائد من أخطر الأمور وأشدها تعقيدا أو ارتباكا فبذل جهدا بكل ما يستطيع حتى كان الاتفاق مع روسيا، وقد وضعت ضمانات تكفل مصالح المسلمين في بلغاريا ورومالي الشرقي[3] إذ أن سياسة خير الدين انطوت دائما على بعد إصلاحي وعلى الاستقامة ومناهضة الفساد وسرعان ما تعارضت مع سياسة عبد الحميد، وبعد ثمانية أشهر عين خير الدين رئيسا لوزرائه، فقد رغب خير الدين في تحديث المؤسسات السياسية داخل السلطنة وعلى وجه التحديد مواجهة التحدي الأوروبي وكل هذا يحتاج مزيد من الديموقراطية و اتخاذ القرارات المصيرية بطريقة الشورى.[4]

إذ أن مصطفى خزندار وصهره خير الدين التونسي يشكلان الشخصيتين الأكثر نفوذا وإدراكا بالنسبة لكل الموظفين التونسيين، وان خير الدين باشا بالإضافة إلى ذكائه ودراسته واطلاعه قد اظهر محبة خالصة للباب العالي، وسوف يقصد مع بعض الأمراء التونسيين، عينه الباب العالي قريبا،[5] وكانت من أسباب تصرفات

[1]– سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص 55.

[2]– محمد الهادي الشريف: المصدر السابق، ص 99.

[3]– أحمد أمين: زعماء الإصلاح، ج6، مجموعة مقالات أدبية واجتماعية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 255، 256.

[4]– سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص ص 55، 56.

[5]– عبد الجليل التميمي: المصدر السابق، ص ص 50، 58.

الوزير خزنة دار بخلافة مع خبر الدين على خلاف نظام قانون اللجنة المالية ، وهذا الصراع الذي أدى إلى استقالة خزنة دار وتولى خير الدين وزيرا اكبر عوضه في شعبان 1290 –22 أكتوبر 1873 وفي هذه الفترة ظهرت سداد أرائه ونجاعة سياسية في رئاسة اللجنة المالية فانه أمام قوة حججه في مجلس اللجنة، وهنا تعرض ابن أبي ضياف لنقد المصلح بنجاحه في هذه المهمة الصعبة قائلا:" أن هذه البلاد لها يتمن بخدمة هذا الوزير المنصف خير الدين الذي صار رئيسا للكومسيون وقد أعانها في شدائد وأنقذها بنصحه من معضلات "، ولنجاحه في رئاسة الكومسيون فقد كلفه محمد الصادق باي مهمة توثيق الصلة بين تونس والدولة العثمانية وقد تحصل على فرمان من السلطان عبد العزيز ينظم العلاقات بين تونس والباب العالي فقام الباي بمجازاته ببيعة النفيضة(8100000هكتار) فكان هناك رنة ابتهاج واستبشار في ولايته الوزارة الكبرى في الأوساط الشعبية وأقاموا احتفالات معبرة عن عواطفهم وفرحهم في العاصمة وفي المدن كباجة وبنزرت ونوزر وصفاقس والقيروان ، وامتازت وزارته بحسن التنظيم والكفاءة والإخلاص من اجل البلاد وقد أنجز خير الدين باشا كثيرا من الإصلاحات والمؤسسات الهامة منها الخزانة العامة لأوراق الدولة ، وقد جمع الكتب المشتتة في المساجد وسن نظام العدول والإصلاحات البلدية التونسية وسن أيضا قانون الغابة.[1]

المبحث الثاني: مؤلفات كتابه: قوم المسالك في معرفة أحوال الممالك

[1]– محمد محفوظ: المصدر السابق، ص 274، 275.

المطلب الأول: الدراسة الظاهرة للكتاب.

كان تأليف خير الدين باشا لكتابه أقوم المسالك[1] لاعتزاله السياسة[2] وقد اظهر خير الدين وعيا ودرجة عالية من الشعور في قيامه بمهامه، فقد اندلعت ثورات في البلاد في فترته من جديد بعد فترة من الهدوء وقد أصيبت البلاد في قوتها الديموغرافية وفي أنشطتها الاقتصادية [3]، لقد طبع هذا الكتاب أول مرة عام (1285هـ-1868م) [4]وقد ترجمته مقدمته إلى الفرنسية عام 1868 م وترجمه إسماعيل حقي إلى التركية عام 1876 م وترجم أيضا إلى الانجليزية سنة 1874 م وكان تأثر خير الدين يبدو في هذا الكتاب بالشبان الأتراك وبآراء رفاعة الطهطاوي، ويبدو تأثره أيضا بالمفكرين الفرنسيين كتبا زومو نشتيكو وستيورات ميل وقد كان تأثره بالخصوص بتفكير عصر النور وتأثر أيضا بالنظريات الخلدونية من العمران والعصبية [5] وقد شهدت الفترة التي صدر فيها الكتاب تطورا سياسيا ملحوظا سواءا داخل تونس أو في السلطة العثمانية نفسها، وتميزت هذه الفترة محاولات الإصلاح الاقتصادي والسياسي والعسكري لبنية السلطة نفسها نماذج عن أوروبا متنوعة والاقتباس من الغرب[6] وتضمن كتابه برنامجا إصلاحيا يختزل مجموع ما سعى النهضويين

1 -ينظر للملحق رقم : 05، ص 86.

2- خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 44.

3-محمد الهادي الشريف: المصدر السابق، ص 98.

4- خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 2.

5- محمد محفوظ: المصدر السابق، ص ص277، 278.

6- مسعود ظاهر: مقدمات منهجية لدراسة الفكر الإصلاحي عند خير الدين بيرم التونسي، معهد الانماء العربي، مج2، ع 15 ، لبنان، 1980، ص5.

العرب إلى تحقيقه في القرن19 وقد استوحى خير الدين كتابه من مصادر تجربته السياسية المطالعة في التاريخ السياسي والاقتصادي وجغرافية العالم والمشاهد في الرحلات التي قام بها إلى أوروبا ، وقد أطلق فكرة هذا المشروع ب:" إعادة إصدار كتب التراث الإسلامي الحديث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين والتاسع عشر والعشرين الميلاديين " وكان هدف هذا المشروع إلى تكوين مكتبة متكاملة ومتنوعة تضم رواد إصلاح والتجديد الإسلامي واهم إعمالهم الفكرية خلال القرنين الهجريين المذكورين [1] وقد انحصرت المهمة في الإصلاحات الحاصلة في هيئة الحكومة والتنظيم الإدارة التونسية.[2]

وعند تفرغه لم يعد للعمل السياسي إلا بعد أن وصلت مالية الدولة إلى حد الإفلاس، وكتب عن أفكاره الإصلاحية في هذا الكتاب وكون الأوروبيون اللجنة المالية أو ما يدعى الكومسيون المالي، وترأس خير الدين قسم العمل بهذه اللجنة[3] كان خير الدين يدعوا إلى الاختلاط بالأوروبيين والتعلم منهم على حد قوله في كتابه " أقوم المسالك " لا يتهيأ لنا أن نميز ما يليق بنا إلا معرفة أحوال من ليس حزينا – فالدنيا بصورة بلدة متحدة أو بالتعبير الحديث قرية صغيرة تسكنها أمم متعددة حاجة بعضهم لبعض متأكد" وقد اعتزل خير الدين في بستانه وكتب كتابه " أقوم المسالك " وقد تحدث عن التمدن والإصلاح تماما مثل فعل ابن خلدون في مقدمة والذي طبع في مقدمة

[1]– خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 17، 18.

[2]– حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 178.

[3]– الشيباني بن بلغيث: المرجع السابق، ص 70.

خير الدين باشا خلاصة أرائه وكان عمره في ذلك الوقت خمسة وأربعين عاما، وعند صدور كتابه عاد إلى شؤون الحكم في تونس وأصبح الحاكم الفعلي للبلاد سنة 1873م لمدة أربع سنوات وقد قرأ كتابه السلطان عبد الحميد الثاني عينه الصدر الأعظم في الأستانة عام 1878م[1] ولقد كان خير الدين مبتعد من تلقاء نفسه عن شؤون الدولة، وقام بعدة مهمات ولم يبق مكتوف الأيدي في تلك المدة وزار عددا من البلدان الأوروبية في مقدمتها فرنسا، واستغل زياراته للتعمق في أسس حضارة الغرب ومؤسسات مختلف دولة، وهذه الزيارة استخلصها في كتابه " أقوم المسالك" فكان ينادي بضرورة توثيق الروابط بين الأيالة التونسية والخلافة العثمانية وكلف بالدفاع لدى الباب العالي عن فكرة ضبط نظام أساسي مبني على العلاقات القائمة بين الإمبراطورية العثمانية ولايتها الإفريقية بقواعد متينة[2] ولفهم فكر خير الدين ومحاولاته الإصلاحية، قد صدرت عن رؤية حاول التوفيق بين الفلسفة الليبرالية والتي كانت خاصية العصر والتقاليد الإسلامية في العصر العثماني، فكان تأليفه لكتابه وعبر عن هذه الرؤية بتعبير عميق[3] ولقد احتك خير الدين برجال السياسة ورجال الأعمال وبدول أكثر تقدما على السلم الحضاري من تونس، وعند بقائه بعيدا عن السلطة تسع سنوات درس كتابه أقوم المسالك وكان يرى ضرورة إدخال الإصلاحات في الدول الإسلامية[4]

[1]– صلاح أحمد زكي: المرجع السابق، ص ص 29 – 31.

[2]– صادق زمرلي: المرجع السابق، ص ص 100– 106.

[3]– خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 31.

[4]– يحيى جلال: المرجع السابق، ص ص 251، 252.

وقد واجهت تونس مصاعب عديدة بسبب الديون على الدولة كما حدث في مصر والدولة العثمانية[1] ونتيجة الوضع المتأزم في تونس انطلق خير الدين من خلال تذكيره المختصر، وغايته السعي إلى حل هذه الأزمة في إطار الوطن أولا في إطار الخلافة العثمانية ثانيا[2] ويرى أيضا ما كانت عليه الأمم الإسلامية من اختلال من سياساتها من حيث المبادئ لا تنفيذ فقط فقال " وأما الخلل السياسي فإن احتياج المملكة لغيرها مانع لاستقلالها وموهن لقوتها لاسيما إذا كان يتعلق بالضروريات الحربية تلك التي إذا تيسر شراؤها زمن الصلح فلا يتيسر ذلك وقت الحرب ولو بأضعاف للقيمة ولا بسب ذكرناه، إلا تقدم الإفرنج المعارف الناتجة عن التنظيمات المؤسسة على العدل والحرية فكيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو مستحسن في ذاته ويستسهل الامتناع عن ما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية واحتياط في غير محله" وقد شدد خير الدين أنه يجب قيام حكام باستشارة العارفين وأن ما جاء به الوزير الأكبر فهو يضر على أوروبا تقدمها كان بسبب العلم والعدل[3] وحاول خير الدين ان يتحرى العوامل في كتابه التي يمكن أن تصلح شأن الأمم الإسلامية بالمقابلة مع ما تم في دول أوروبية فيقول " وجوب الاقتباس عن أهل الأمم الأخرى"[4]وكثرة تطلع خير الدين إلى الكتب والمخطوطات في مكتبة الباي وكان ميالا للقراءة،

[1]– إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، 346.

[2]– سيار جميل: المرجع السابق، ص 451

[3]– زيادة نقولا: المرجع السابق، ص 80.

[4]– زيادة نقولا: المرجع السابق، ص 80.

خاصة التاريخ بوجه خاص وكان أميل لتلك الكتب التي تأخذ السببية منهجا بالتفسير العقلاني للتاريخ أسلوبا[1]

قد آل إلى ما لخصه خير الدين في كتابه أيضا طبعه باللغة الفرنسية والعربية وكانت اهم فصوله على ابن عياد وما في يده من أوامر الزيت والرسوم المالية لا عمل عليها ...، وإلى غير ذلك ما هو مسطر في ذلك الكتاب، ومن عظمة خير الدين في هذه المملكة–وسمعت من الباي– انه قال" ولله لو أن ابن عياد[2] رد إلى ما أمنته عليه من الأوامر والرسوم المالية، وطلب الاستعفاء من الخدمة وسكن أي مملكة يشاء كنت اكتب له مكتوبا في براءة عرضه بطبعه لصحف الأخيار، إذ لا ولاية لي استرقاق قلوب الرجال إلا بإحسان وكنت أحاسبه كما يشاء حتى يظهر في الوجود فعلي وفعله لكن المقدر كائن لا محال " وذكر ابن أبي ضياف انه أطنب في هذه المقدمة أسباب النقص الذي وقع في هذه المملكة الضعيفة كيف ترى إليها ليراها الناظر[3] قد ركز على الأسباب التي أفضت انحطاط المسلمين بعد عصور الازدهار التي عرفوها في سبيل نهضتهم، وضع خير الدين التاريخ وجها لوجه مع المشهد الأوروبي، وعليه من تمدن ورقي وحضارة، ووصف حال مملكة أوروبية على حدة عرض ما لديها من تنظيمات سياسية وإدارية وعسكرية ومالية، ونهضة

[1]– حمدان أبو سمير: المرجع السابق، 59.

2– ابن عياد : 1810 – 1880م ،يد مصطفى التي يسرق بها وشريكه في المغانم و المظالم ،شغل وظيفة جمع الضرائب وشراء ماتحتاجه الحكومة ،وعند سفره إلى باريس طلب ان يتجنس بالفرنسية مدعيا ان له عند الحكومة التونسية 60 مليون قرش ،... للإستزادة ينظر ،عبد القادر دوحة : المرجع السابق ،ص 260.

[3]– ابن أبي ضياف: المصدر السابق، ص ص 155، 156.

المسلمين العرب لا يمكن أن تتحقق إلا بالاقتداء بالأوروبيين والإقبال على معارفها وعلومها الحديثة وليس ما صدر عن أوروبا حرام بحرام، فلا نهضة ترتجي بغير الأقدام على معرف، وأنهم لا يعودوا ويعترفوا ويخرجوا على ما كانوا عليه إبان القرون الوسطى[1] وكان من تفكير خير الدين المستنير أن يذكر للقارئ نص يعبر عن تفكيره أفضل التعبير من كتابه أقوم المسالك ورد على الذين يناهضون الإصلاحات والمؤسسات العصرية "على أن إذا تأملنا في حالة هؤلاء المفكرين لما يستحسن من أعمال الإفرنج نجدهم يمتنعون من مجاراتهم فيما ينفع من التنظيمات ونتائجها ولا ينتفعون منها فيما يضرهم [2]وقد كان خير الدين شاهدا عصره فالقرن 19 فشهد انهيار المجتمعات العربية الإسلامية وقد شهد أيضا ميلاد النهضة العربية الحديثة وترك كتابه وثيقة من الوثائق الإصلاحية الأساسية [3] كما أن ظهور طبقة مستلمة وظنت النفس على اقتناع بتفوق هؤلاء الدخلاء فسارت على منوالهم وطبقة عريضة متبرمة ومتململة رأت مظاهر الإقناع الأمة وانقراض الخير وغلبة الشر في هذا تطورا جديدا ولابد العمل على تطوير كل شيء في البلاد والأخذ بأسباب التقدم والأخذ مما في أوروبا فقد تحدث منها خير الدين وعبر عن الموقف خير تعبير فيما بعد[4].

المطلب الثاني: محتوى الكتاب وأهميته.

[1]– حمدان أبو سمير: المرجع السابق، ص 61.

[2] عبد الله الطاهر: المرجع السابق، ص 18.

[3] خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 24.

[4] عبد الله الطاهر: المرجع السابق، ص ص 15، 16.

أ- محتوى الكتاب:

بفضل المواقع السياسية ومختلف التجارب التي خاضها خير الدين باشا عن غيره من الرجال لإصلاح في البقعة الإسلامية والعربية من تحقيق بعض من أفكاره الإصلاحية التي حملها في كتابه الذي تناول عدم الاستهانة به من مفكري عصر النهضة، كما أنه درس أحوال البلدان التي اضطلع عليها وعكوفه أدى إلى دراسة ما هو قائم في الغرب وظهور النزعة الخلدونية عنده نسبة إلى ابن خلدون توضع في المقدمة أوضاع المسلمين وحاجتهم للإصلاح وأتبعها بتاريخ أسهب فيه شرحا لأوضاع البلدان الأوروبية وما هي عليه من تقدم ورقي[1] وقد صدر هذا المؤلف في حياته كما ذكرناه سابقا 1284م/1861م وقد عرض مخطوطا على الباي والذي أذن بطبعه بالمطبعة الرسمية التونسية، ولما كان يتقن الفرنسية أشرف على ترجمته بالفرنسية بنفسه التي تولاها أحد مساعديه، وقد صدرت مقدمته بالفرنسية في باريس عام 1285هـ/ 1868م بعنوان " الإصلاحات الضرورية للأقطار الإسلامية " Reformes nécessaires aux Etat musulmans وأما ترجمته فقد تأخرت إلى سنة 1295هـ/1878م وقد عرف خير الدين كتابه" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" بأنه بحث في أسباب التقدم والتأخر للأمة الإسلامية" وينقسم إلى مقدمة وكتابين، وتتضمن المقدمة 3 أبواب أولها حول التنظيمات والثاني تلخيص التاريخ، التمدن الأوروبي والثالث تلخيص المكتشفات والمخترعات الحديثة[2]فعكف خير الدين أثناء اعتزاله الوزارة على وضع كتابه والذي ترجمه بالفرنسية الإصلاحات الضرورية للدول الإسلامية وأما التاريخ عنده فقد استعرض فيه حال الممالك الأوروبية لا من ناحية تعاقب ملوكها وتسلسل حروبها، والأهم كما نذكر على مقدمة الكتاب التي نشرح حال المسلمين وحاجتهم إلى الإصلاح وطريقته وهو

[1]- سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص ص 36- 38.

[2]- خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص ص 47، 48.

فيها يعني على المسلمين كراهيتهم لأخذهم بأساليب المدنية الغربية في الإصلاح، واعتقادهم عن أوروبا كل مصدر منها حرام، لأن كل أمة لها موقفها الاجتماعي وعقليتها وتاريخها. [1]

فقد تطرق إلى أهمية التنظيمات العثمانية ودحض المقولة السائدة بأنها مخالفة للشرع والإسلام ...كما انتقد عملية الافتراض من أوروبا وكان رجل مؤمن بالخلافة العثمانية، وان الإصلاح عنده لابد أن يتم في إطار عثماني، وقد قدم برنامجه ليؤكد ضرورة الاقتباس من الغرب، وقد أكد أيضا إصلاح نظام الحكم مؤكد أن الشريعة الإسلامية الصالحة كاملة رائعة وكما اقترح إلغاء الحكم المطلق، فالظلم مؤذن بغراب العمران كما انه كان ضد الدكتاتورية وان مبدأ السلطة لا جدال فيه والوزارة عنده يجب أن تكون تفيض لا تنفيذ وقد طالب ببناء مجتمع رأس مالي عصري أصيل يقوم على أساسيات مبدئية هي: الحرية وحدودها، الحرية شرط الازدهار و الاقتصاد[2] وقد فصل خير الدين كتابه الأول على المشاهدات والمعلومات التي جمعها حول مجموعة من البلدان قام بزيارتها ويتضمن عشرين بابا في تعريفه لعشرين دولة واحدة منها إسلامية وهي تركيا العثمانية، وقد خصص بابه الثاني لفرنسا والثالث لإنجلترا والرابع لنمسا وإلى غيرهم من الدول إلى20 بابا عن هذه الدول ومن بين الدول التي ذكرها في أبوابه روسيا، ألمانيا، اسبانيا، السويد، النرويج وهولندا، الدنمارك البرتغال وبلجيكا وسويسرا وغيرهم من الدول ويتضمن الكتاب الثاني معلوما جغرافية عامة فيعرض تقسيم العالم وقاراته الخمس وخصائصها، واهم ما في مؤلف خير الدين مقدمته التي اختزل فيها خلاصات رئيسية لمشاهداته وتأملاته وجاءت في قالب برنامج إصلاحي موجه إلى القطر التونسي خاصة الدولة العثمانية بشكل عام بكل ما شملته من أقطار إسلامية، وكادت شهرة مقدمته تحجب بقية الأثر وطبعت مفردة عدة مرات[3] ونذكر انه قد تم تأليفه

[1]– أحمد أمين: المرجع السابق، ص 240.

[2]– سيار جميل: المرجع السابق، ص ص 450، 451.

[3]– من مقدمة أقوم المسالك: المصدر السابق، ص ص 48، 49.

في خريف تلك السنة، وكان له الإذن في طبعه في رمضان 1284 هـ جانفي 1868 م وقد نشر في كراريس وصدر آخر كراس منها في أواخر ربيع الثاني عام 1285 هـ أغسطس 1869 م وقد كانت الأحوال العامة في تونس والتأكيد على ضرورة الإصلاح العميق لشؤون البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان من المهم أن يصف العلماء والساسة المسلمين النظم السياسية والاقتصادية للدول الأوروبية المعاصرة وكانت غايته التي يرمي إليها إغراء أولئك الساسة والعلماء باقتباس النظم التي تضمن لهم التقدم وازدهار الأحوال وغايته الثانية مرتبطة بالأولى[1] وهي إزالة خطأ علق بازدهار كثير من المسلمين في عصره فقد لفظ التنظيمات وكثي مما جاء في مقدمته أقوم المسالك ويذكرنا بالمناقشات والمطالبات التي أحاطت محاولات الإصلاح في الدول العثمانية في القرن 19، وقد كان اهتمامه بمشاركة نخبتين في الحكم هم الساسة والعلماء، إذ أنه لا ينكر أن مقدمة أقوم المسالك تعكس اهتمام مؤلفها سياسة السلطة العثمانية[2] وفي وصفهم لكتابه ليذكر كثرة تطلعه إلى الكتب والمخطوطات في مكتبة الباي وكان ميالا للقراءة، خاصة التاريخ بوجه خاص وكان أميل لتلك الكتب التاريخية التي تأخذ السببية منهجا وبالتفسير العقلاني للتاريخ أسلوبا كما أنه ركز على الأسباب في مقدمته التي أدت إلى انحطاط المسلمين بعد عصور الازدهار التي عرفوها وأيضا على السبيل إلى نهضتهم وقد وصف حال كل مملكة أوروبية على حدة عارض ما لديها من تنظيمات سياسية وعسكرية ومالية وإدارية، وأن الاقتداء بأوروبا يعني الإقبال بدون مركبات أو عقد على معارفها وعلومها الحديثة وبلغتها " إلا بمعرفة أحوال من ليس من حزبنا " وتحقيق لبلوغ الأرب وهو النهضة، فإن اختيار المعارف الأوروبية الحديثة يكون متوافقا مع متطلبات العصر هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية متطلبات الشريعة الإسلامية[3] وقد عمل خير الدين على إرساء الحداثة

---

[1]– أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص ص 17– 22.

[2]– نفسه: ص ص 22، 23.

[3]–سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص ص 59 – 62.

الحقيقية في العالم الإسلامي، وتم لينه من آليات النمو الذاتي والاعتماد على النفس، وقد أكد على فكرة العدل أساس العمران مستلهما ذلك من ابن خلدون، نفسه لأن العدل في نظره يخلق الأمن والاستقرار، وقد تميز خير الدين عن ابن خلدون هو ضرورة وجود مؤسسات لكن مع المحافظة على خصوصيات المجتمع العربي الإسلامي، فلقد فهم خير الدين الفرضيات واعتبر الشريعة كائن حي يستوجب النقاش والتطور حسب مقتضيات العصر[1] اذ كان الإصلاح عند خير الدين إصلاحا ينطلق من المفهوم الخلدوني الواسع بعلم العمران البشري الذي يبحث في شؤون البشر من حيث الملك أي الدولة والكسب أي الاقتصاد والصنائع والفنون ومختلف الآداب والعلوم[2].

ب-**الأهمية:**

نظرا للمكانة التي كانت لخير الدين باشا بالشرف والاطلاع المثقفين من المشارقة على مقدمة الكتاب ولم يغفل عنها بعض المؤرخين للإصلاح الإسلامي عن ذكره والترجمة له في مؤلفاتهم فمثلا ذكر في كتاب "الإعلام" الزركلي وقد ترجم له أحمد أمين في كتاب زعماء الإصلاح تؤكد الدراسات على أهمية الدور الذي قام به الوزير التونسي في مجال الإصلاح السياسي والاجتماعي، إذ أن الدراسات الهامة عن خير الدين صدرت باللغة الانجليزية في أمريكا قد لفتت من جديد الأنظار إلى أهمية المصلح التونسي[3] وتكمن أهمية كتابه " أقوم المسالك" في مقدمته التي يشرح في مطلعها، أن ما حمله على وضع كتابه مقصدان " الأول " حمل أصحاب.. والهمم من رجال الذين والدنيا على السعي في سبيل كل ما يؤول خير الأمة الإسلامية وهو مدنيتها[4]وكان دور

[1]- مذكرات خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص ص 9- 13.

[2]- محمد محمود علي: المرجع السابق، ص 23.

[3]- أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص ص 6، 7.

[4]- ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص 114.

بالغ الأهمية لصياغة كتاب خير الدين " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" تشديد إلى السمات التالية " عهد الأمان 1857م– إعلان الدستور 1861...الخ وأن إصداره لكتابه جاء نتيجة مباشرة لهذه المرحلة الخصبة من تاريخ تونس خاصة السلطنة العثمانية عامة، ولعل أبرز مبررات هذا التأليف أنها تكمن في محاولة خير الدين التحديات المصيرية التي تواجهها تونس والسلطنة خلال تلك المرحلة ومنها ارتباط تونس بالسلطنة العمانية وموقف المسلمين من الغرب، وتشديد على الخصوصية الوضع التونسي ورفض سياسة الافتراض من أوروبا [1] ويذكر أبو قاسم سعد الله أن جريدة المبشر الرسمية نشرت كتاب أقوم المسالك على حلقات والتي كانت تصدر بالعربية والفرنسية، ابتداء من أكتوبر 1868 م كما تناول الشيخ عبد القادر المجاوي عن كتاب خير الدين وتحدث عنه في رسالة المسماة إرشاد المتعلمين المطبوعة عام 1877 ويرى أن خير الدين سيصلح الأحوال لأنه صاحب فكرة أقوم المسالك[2].

فقد كلف خير الدين باشا صديقه أمير الأمراء حسين بترجمة كتابه إلى الفرنسية والانجليزية وسعى إلى توزيعه أحسن توزيع وما جعل كتابه يجد رواجا في الشرق والغرب ووقع نشره في جريدة الجوانب لصاحبها أحمد فارسي الشدياق، وقام سعادي أفندي بترجمته إلى الفارسية وشرع في نشر أجزاء منه في جريدته الصادرة بلندن باللغات العربية، التركية، الفارسية، كما كان محل اهتمام من رفاعة الطهطاوي والمصلح مدحت باشا[3] وقد حاز أيضا هذا الكتاب بإعجاب السلطان عبد الحميد الثاني[4]، وكما يبدو أن هذا الكتاب الذي وضعه خير الدين في

---

[1]– مسعود ظاهر: المرجع السابق، ص ص 5–7.

[2]– أبو قاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص 163.

3– مدحت باشا : أحمد شفيق مدحت باشا (أكتوبر 1822م إسطنبول – 8 ماي 1884م الموافق لـ 1238 هـ – 1301 هـ) سياسي عثماني و إصلاحي ذو توجه موالي للغرب توفي سنة 1884م ...للإستزادة ينظر ;كمال يوسف ،مذكرات مدحت باشا ،مطبعة هندية ،مصر ،2019 ،ص 08

[4]– مذكرات خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 14.

اعتقاده أنه يفعل للعصر الحديث مثلما فعله ابن خلدون في عصر أسبق، فالمؤلفان تونسيان ووضعا كتابهما في عزلة عن الحياة السياسية، وقد عالج فيهما كل واحد على طريقته قضية نشوء الدول وسقوطها، وقسم كل منهما كتابه إلى مقدمة وعرض مبادئ العامة إلى أجزاء عدة فهذا التشابه يقف عند هذا الحد وفي معظم كتاب ابن خلدون يعني عن تاريخ الدول الإسلامية فيعنى كتاب ابن خلدون معظمه عن تاريخ الدول الأوروبية[1] ويعد كتابه من أبرز الكتب التي حررت في القرن التاسع عشر وهو يدخل في باب التحرير السياسي وإن حشره مؤرخو الآداب في باب الرحلة ولعل أهم هذا الكتاب مقدمته إذ أنه برنامجا إصلاحيا لا وضع تونس فقط وعلى حد تعبير ابن أبي ضياف في إتحافه " فقيرة حسا ومعنى" بل لكامل الإمبراطورية العثمانية " ذلك الرجل المريض "[2] وممن عرف لموافقة لآراء خير الدين: ابن أبي ضياف سربايات تونس ومواقفه في مقدمة كتابه " إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" ليس فيها أي اختلاف كثير مع كتابه أقوام المسالك والمواقف التي في مقدمة الكتاب لخير الدين باشا التونسي، وما عرف عنه من مجاله الإصلاحي السياسي والاجتماعي، وقد اعتمد خير الدين على كتاب الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار للمؤلف محمد الخامس، مدة وزارته لإنجاز الكثير من مشاريعه الإصلاحية[3] ، وقد تحدث أبو القاسم سعد الله أيضا على ابن بريهمات الذي أظهر إعجابا لأقوم المسالك رغم أنه ليس من الشعراء المشاهير وذلك في أبيات بعثها لخير الدين 1824 ولا تهم قوة التعبير ولا قوة الشاعرية بل يهم روح القائل ومحتوى القول، الذي نور به ابن بريهمات في شخصية خير الدين باشا ، واختياره منهج إصلاح السياسة والانتصار للدين والوطن ومدحه له على ما جاء به من أفكار في الإصلاح إنما

[1]– ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص ص 113 ،114.

[2]– خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 22.

[3]– أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص 6، 7.

هو طبقة الأحكام الشعرية الإسلامية مع مراعاة قال الناس والعصر فنذكر من أبياته ما قال عن خير الدين باشا:

لله درك خير الدين من علم أبدى منار الهدى للناس في الفتن

هجت تهجا قويما قل سالكه إلى السياسة كي ينجو من الفتن

وقد اعتبر ابن بريهمات ما جاء في " أقوم المسالك" هو عبارة عن " نصيحة" توجه بها خير الدين باشا للمسلمين كافة، ونجد أيضا من المعجبين لكتاب " أقوم المسالك" وصاحبه خير الدين الشيخ مصطفى كمال والذي هو من تلاميذه محمد عبده، وقد توجه أيضا بعض المذكرات والصحف والوثائق التي ذكرت واشتملت على آراء وتعاليق المعاصرين عن أطروحة خير الدين تونسي أو دعوته للإصلاح[1].

[1]– أبو قاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 166، 167.

الفصل الثالث : الجهود والأعمال التي قام بها خير الدين باشا التونسي

اعتبرت فترة القرن 19 فترة وقوع البلاد التونسية في أزمة مالية والتي دفعتها إلى الإقتراض من أوروبا وهنا قد اعتبر بايات تونس أن الخطر يتمثل في أطماع الحكومة التركية، وهنا تم إبراز خير الدين باشا التونسي الذي قام بإصلاحات غيرت الكثير ، وقد ولد فيه الرغبة في الإستفادة من المنجزات الحضارية للأمم الأخرى ، وتدهور حال البلاد أدى إلى خير الدين باشا التونسي لتطبيق برنامجه الإصلاحي في البلاد التونسية ، ومحاولات الإصلاح عنده لم تكن عشوائية بل كانت تقوم على الفهم والدراسة التي تتضمها مقدمة الكتاب "أقوم المسالك .....، " التي حاول أن يجسد فيها فترة دخوله في رئاسة الوزراء ، ومن هنا تطرح التساؤلات ، فيما تمثلت التنظيمات خير الدين باشا الإصلاحية والسياسية والإقتصادية والثقافية؟ وماهي أهم أعماله الإصلاحية والسياسية؟

المبحث الأول : إصلاحات خير الدين باشا التونسي

المطلب الأول : التنظيمات السياسية

أيد خير الدين باشا نظرته بالرجوع إلى التاريخ ،واستشهد بالمملكة الإسلامية بما تقدمت وبما تراجعت وأوروبا بما تأخرت وبما نهضت وبما نمت ،وقد حمل المسلمين تبعة تأخرهم ،وقد أسهب في مجمه ملكه وتضلعه في أمور السياسة وصواب منهجه ،ورجال السياسة يعرفون السياسة ،وجهل رجال السياسة الدين ،ضررها ،فقد وقعت البلاد في شر محنة فمن ناحية ثار الشعب من الضرائب،فاتجه الباي إلى خير الدين يطلب منه ترأس اللجنة ،فنظروا أي الناحية التشريعية والقضائية في البلاد مضطربة ،والأجانب لا يخضعون لقانون البلاد ،فرأى خير الدين أن يضرب الدولتين ببعضهما البعض في وسط المطامع والنذر بالخطر ،فرسم خطة توثيق الصلات وتجديد العلاقات بينهما ،وكانت علاقات غامضة غير محدودة[1]وقد مر المسعى السياسي لخير الدين التونسي بمرحلتين رئيسيتين هما:

– مرحلة ما قبل الوزارة : التي حاول فيها أن يؤثر في مركز صنع القرار عن بعد.

– المرحلة الثانية: هي مرحلة التأثير المباشر: بحيث أمسك خير الدين فيها بزمام الأمور تقريبا، والفترة الزمنية التي تبدأ فيها منذ ترأسه للجنة المالية الدولية.

– فمرحلة ما قبل الوزارة : بدأ فيها خير الدين العمل السياسي منذ فجر شبابه مع المشير أحمد باي ،فتقلب في المناصب السياسية والعسكرية ،وكان أول ما كلف به هو معالجة الفساد الإداري بالدفاع عن الدولة

[1]–أمين أحمد: المرجع السابق، ص ص،242–248.

من قضية محمود عياد، الخطوة الثانية هي تأثر خير الدين باشا بأوروبا حيث شارك خير الدين باشا في ستور السهم الأوفر ،تفكي، تشريعا ،وتنفيذا.

ومرحلة الوزارة الكبرى : قبول خير الدين في رئاسة اللجنة المالية للدولة ،فقد لعب دورا كبيرا في التخفيف من مديونية البلاد ،وانتهج خير الدين سياسة تقشفية صارمة تعتمد على نظام محاسبي دقيق لكل المداخيل والمصروفات[1].

قام خير الدين باشا بتعديل الدستور سنة 1861 وفق لمبدأ فصل السلطات واقامة النظام البرلماني وتأسيس مجلس تشريعي له سلطة واسعة منها حق خلع الأمير إذا خالف بتصرفاته أحكام الدستور[2] وكان خير الدين يطمح إلى تحويل الأحكام الفقهية إلى شكل قانوني حديث ليتوحد فيه القضاء ،فعمل خير الدين على تفادي الإقتراض من المصارف الأوروبية ثم عمل على ضبط الحسابات ،كي تسدد الديون في أوقاتها [3] وتصدى خير الدين لاتمام النظامات التي تشرع فيها من أول نشأته السياسية ،فقد إهتم بعلاقات المملكة مع الدول الأوروبية وعقد المعاهدات بما يوافق مصالح الجانبين وقد أنشأ " مجلسا مختلطا " بتونس للتقاضي بين الأهالي والأجانب في المسائل المالية وغيرها، قام خير الدين لكن لم يخل من إثارة العقبات ومعارضات لا سيما عند تدخل مصطفى اين إسماعيل والذي نال خطوة عند الباي، وقد وصل في نقله الوظائف العالية كوزارة البحر ووزارة الشورى وغيرها وما فيه من قلة الخبرة بالأمور السياسية فتخلى خير الدين عن منصبه لكن عرف عنه

[1]–عبد القادر دوحة : " الإصلاحات السياسية والإدارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19 وعلاقتها بالحضارة الغربية" عصور الجديدة، العدد 11،12، 2014م، ص ص، 249،253،255.

[2]–ثامر حبيب : هذه تونس، مطبعة الرسالة مكتب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1988،ص23.

[3]–خير الدين باشا التونسي : المصدر السابق، ص ص 39،41

مزايا الشريفة واخلاصه في العمل للوطن ،وتقدم للوزارة بداله مصطفى بن اسماعيل[1]وقد أقام أحكام الدستور وأبرزه للوجود بأحداث برلمان تونسي مكون من 60 عصوا من التونسيين للنظر في شؤون الدولة التونسية يسمى المجلس الأكبر[2] وفي عصره كان التجاهل التأثير الاوروبي ضربا من المحال ،فكان سبيله في الإعتماد على " الشرع والعقل " وغرضه الأساسي هو قوة الدولة وتقدم الأمة في التمدن ودفعها نحو آفاق النهضة فهو ربط تقدم الأمة بتقدم الدولة بالحكم الصالح فميدانه هو ميدان السياسة ونظرية الحكم الصالح وهو الميدان الأجدر بالإهتمام هو شروط " حسن الإمارة " ويتساؤل حول : كيف يتحقق العدل والحرية اللذان هما اساس العمران وتقدم المعارف ؟ فهو يبدأ مشروعا لبناء الدولة الإسلامية الحديثة بإرساء مفهوم العدل وبذكره في كتابه منذ الجملة الأولى " سبحان من جعل من نتاج العدل العمران " ويأتي بعد ذلك على ذكر الآية الكريمة " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " وبين أن الشريعة[3] ليست الإيمان فقط بل الإيمان والأمان ،ويأتي في دعامته الثانية لبناء الدولة بموضوع " الحرية " فهو يرى أنها مرتبطة بشيئين هما نقل نظم الحرية الأوروبية إلى المواطن المسلم والثانية هي الوسيلة[4] وبإعتبار خير الدين من زمرة هؤلاء الشخصيات العالمة بالأيالة[5] التونسية ،فقد كان له منهجا إصلاحي خاص به وكتابه " أقوم المسالك " ،وقد قدمت ملاحظات المؤرخين التونسيين تجربة خير الدين

---

[1]–حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ص ص 176–177

[2]–يونس درمونة : تونس بين الإتجاهات، دار الكتاب العربي، مصر، 1953، ص37 .

[3]–صلاح أحمد زكي : المرجع السابق، ص ص، 31–33.

[4] – نفسه: ص33.

5الإيالة : الإيالة مصطلح عثماني يطلق على أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى إيالات والإيالات إلى سناجق والسناجق إلى أقضية والأقضية إلى نواح والنواحي إلى قرى ولقد أشرف على الإيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن 16م حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري بالإيالة، ولهم النفوذ المطلق ما عدا الحالات القضائية ...للإستزادة ينظر ;سحبات زهيرة العلاقات السياسية و العسكرية بين الإيالة الجزائرية و الدولة العثمانية (1518 – 1671م) ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الجيلالي ليابس ،سيدي بلعباس ،الجزائر ،2015 ،ص 47.

واعتبروا تجربته ذات طابع ثقافي وسياسي محض ،وتركز على ماهو سياسي وعسكري وقد اعتبرت حركة الوزير " خير الدين باشا " من أقدم الحركات الإصلاحية في الوطن العربي[1]،ورغم أن الإصلاحات السياسية كانت تسير في تلك الفترة بالإتجاه الصحيح فقد كان الوضع الإقتصادي السائد عكسه متدهورا بإستمرار عند عودته للعمل السياسي وكما ذكرنا سابقا أنه عين رئيس للجنة المالية المكلفة بتصفية الديون ،وتنظيم مداخيل الدولة ومصاريفها ،ذلك أن الازمة السياسية والإقتصادية قد جرت الدولة إلى حالة الإفلاس ،وعهد خير الدين برئاستها لدرايته بالأمور المالية ،ولمواهبه الدبلوماسية الضرورية ولإقناع القناصل الأجانب بتخفيف ضغوطهم وتدعيما لدوره ومكانته ،فكان خير الدين يريد إقامة الدستور والمجالس المنتخبة والحكومات المسؤولة أمام تلك المجالس.

ولكنه كان رجلا سياسيا أيضا وواقعيا، وقد أرجع خير الدين الإصلاحات العثمانية المتعثرة إلى أطراف كثيرة:

- ❖ الحكام لانهم يتمسكون بالحكم المطلق.
- ❖ علماء الدين لأنهم لا يساندون الإصلاحات مساندة قوية.
- ❖ العامة ،فهم يعتبرون أن الإصلاحات منافية للدين ، التقاليد.

فهده الأطراف كلها تقع في داخل المجتمعات الإسلامية ،ولكن هناك مجموعة أخرى من الأطراف تنتمي إلى الخارج.[2]

[1]–عبد اللطيف بالمعطي : "نخبوية الإصلاح المغاربي زمن القرن 19 "،خير الدين باشا أحمد الناصري "نموذجا"،مدارات تاريخية – دورية دولية، محكمة ربع سنوية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب،ع خ، 2019، ص ص، 268،273.

[2]–خير الدين باشا التونسي : المصدر السابق، ص ص 36،38،60،61.

انتهج خير الدين باشا نهجا سياسيا متوازنا مع الدول الأوروبية التي كانت لها مصالح في تونس محاولا عدم التنازل لأي طرف منها أكثر من الأخر ،فإن سياسته بدأت وكأنها نابعة من وحي وكاين تونس وبمصالح دولته داخليا وخارجيا ،فهومن مميزاته الحداثة السياسية[1]، نهض الوزير خير الدين باشا (1873 – 1877) بجهود الإصلاح وقد شملت إصلاحات دستورية وتعليمية واقتصادية من الأساس[2] وكان العدل في نظره هو الأساس الوحيد للدولة ،وضماناته الوحيدة في هذه الظروف العادية هي تقييد سلطة الحكم ،فيجب تقييد سلطة الحاكم بوجهيين أولهما الشريعة منزلة كانت أم طبيعية (القانون العقلي) والثانية المشورة كالذي على الحاكم استشارتهم هم العلماء والأعيان ،فقد فكر خير الدين في تطبيق لإنشاء نظام حديث وموحد للشرائع الإسلامية ،فقد برر خيرالدين أن هناك جالية كبيرة من التجار الأوروبيين في تونس يشكلون خطرا ناجما عن إستخدام الحكومات الأوروبية لهم سياسيا ،فقد عين خير الدين لجنة قوامها عدد من العلماء المذهبين الحنبلي والمالكي ،الأول مذهب الحكومة العثمانية والباي والثاني مذهب الشعب التونسي[3]وفي وزارة خير الدين طلبت شركة فرنسية الإذن بمد خط بين تونس والجزائر فرفض خير الدين بحجة أن المسألة تتصل بالحدود م أن الباب العالي صاحب الحق ،فقد حكم خير الدين البلاد حكما إستبداديا ولكنه عادل ،وتولى أمر البلاد وهي في فوضى من كل نواحيها فقد عالجها بحزم وضبط وقوة ،وقد عالج في كياسة التيارات السياسية في أحرج أوثاتها ،وقسم الإدارة إلى اقسام ويجعل على كل قسم رئيس يلقب بوزير ويتحمل المسؤولية في إختصاصه ،ولا يرجع اليه إلا في الأمور الهامة ،وبذلك توزع الأعباء والمسؤوليات[4].

تميزت شخصية خير الدين باشا بالمزج بين الفكر والسياسة ،هوالأمر الذي جعله ذواستثناء عن غيره ممن سبقوه من رجالات الإصلاح بتونس ،الذي أوكلت العديد من المهام وهوفي سن مبكرة[5].

---

[1]–عبد القادر دوحة : المرجع سابق، ص 257.

[2]–مقلاتي عبد الله : المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ديون المطبوعات الجامعية، برج بوعريريج الجزائر، 2012، ص 48.

[3]–ألبرات حوراني : المرجع السابق، ص، ص، 115،119،120.

[4]–أحمد أمين : المرجع السابق، ص ص، 251–252.

[5]–عبد اللطيف بلمعطي : المرجع السابق، ص 270.

المطلب الثاني : الإصلاحات الاقتصادية والإجتماعية

أ/ الإقتصادية :

كان الإقتصاد التونسي في تلك الفترة إقتصادا ريفيا يقوم على الزراعة وبعض الصناعات والحرف التقليدية وللنهوض بالفلاحة تم إصدار قانون الخماسة الذي يحدد حقوق وواجبات الخماسين[1].

يقر الأستاذ سمير المنجي أن خير الدين التونسي لم يكن لديه منهج محدد في الإقتصاد ،ففي سنة 1867 كانت تونس في أشد الحاجة إلى نمو كامل فعمل خير الدين على تبني منهج للخروج من هذا الوضع.

قام الوزير المصلح بإدخال بعض الاصلاحات على القطاعات التالية :

أ/ الفلاحة : اهتم بالفلاحة وذلك من خلال إعطاء بعض التعليمات للنهوض بالنشاط الفلاحي وتحديد مساحة الأراضي المزروعة بالإضافة إلى تحديد احتياجات كل منطقة من المياه[2].

ب/ الصناعة : قام في هذا لقطاع باصلاح ميناء حلق الوادي[3] وهوأعظم مناء في تونس ،كما أنشأ مصنعا بخاريا لبناء السفن وإصلاحها ووسع الطرق ونظمها[4].

ج/ التجارة : حرص على محاربة الغش وشجع الفلاحين ودعمهم ونظم التجارة داخليا وخارجيا ،كما قام بضبط المواد التي تصدر مع تحديد كميتها وأقام علاقات تجارية مع بريطانيا من اجل تنشيط التجارة الخارجية[5].

كما قام بإلغاء الضرائب التي تراكمت على الشعب وخفض من قيمتها وأزال الحملات العسكرية التي كانت تستعمل العنف في جمع الضرائب ،وقسم الأراضي الزارعية إلى مناطق بحيث شدد بإختيار الأمناء والأعوان

---

[1]–حبيب حسن اللولب : المرجع السابق، ص 17 .

[2]–عبد القادر دوحة : المرجع السابق، ص 203.

[3]–ينظر للملحق رقم 7، ص 88.

[4]–أحمد أمين : المرجع السابق، ص 238.

[5]–عبد القادر دوحة : المرجع السابق، ص 209.

هذا الأمر أدى إلى انتعاش ملحوظ ،حرص على غرس الأرض وزرعها بأنواع مختلفة من الأشجار ومن بينها الزيتون والنخيل وأصدر أمرا يقضي بأن هذين النوعين معفاة من الضرائب لمدة 20 عاما[1].

ب/ الإجتماعية :

تبرز أهم ملامح الجانب الاجتماعي في عنصرين هما القضاء ويعتبر الركيزة الأساسية من ركائز المجتمع أما العنصر الثاني فيتمثل في نظام الأوقاف الذي بتبع العنصر الأول ويخدم نفس الغرض[2].

أ/ القضاء : كان القضاء في تونس معقدا بحيث ان العامل اوالقايد هوالذي يقوم بشؤون الإدارة ،وكان منصبه معرضا في اي امر من ولي البلاد إلى الزوال لذلك كان يجمع كل ما قد يحتاجه لكي يكسب رضاه ،وكان الظلم يقع على أهل البلاد اذ لم يكن من يحميهم من هذا الجور ،ففي سنتي 1861 – 1862 أدخلت بعض إصلاحات التي كان لها دور كبير في تخفيف هذا الظلم[3].

رأى خير الدين باشا التونسي أن الأجانب لا يخضعون لقانون البلاد فلكل مذهبه يرجع إلى الحكم عليه لذلك عهد إلى أخصائيين في الدولة العثمانية بدراسة القوانين وأن يخرجوا قانونا يناسب القانون التونسي[4] ،قام الوزير المصلح بإحداث هياكل جديدة كتكوين محكمة الوزارة التي أسسها سنة 1870 لما سمي وزيرا تختص في الفصل في القضايا.

محكمة الأحبار الخاصة باليهود تعالج كل ما يخصهم ،والمجالس المختلفة يتعلق بالتجار وبمعاملاتهم ،كما قام أيضا بإرجاع الأمن للأرياف بإعتباره ضرورة من ضروريات كل مجتمع إنساني لحفظ الأمن ووضع مراكز الشرطة متفرقة في أنحاء المنطقة الريفية[5].

---

[1]–حسن بربورة :تحليل نص " إصلاحات خير الدين التونسي في البلاد التونسية سنة 1871 – 1877م، من كتاب خير الدين والبلاد التونسية لـ :ج، س فان كريكن"، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2013، ص13.

[2]–عبد القادر دوحة : المرجع السابق، ص 212.

[3]–نقولا زيادة : المرجع السابق، ص 67.

[4]–أحمد أمين : المرجع السابق، ص 248.

[5]–عبد القادر دوحة : المرجع السابق، ص ص، 214، 218.

ب/ نظام الوقف : تنوعت اصناف الوقف ووجود هيئات تقوم بالإشراف عليه وتسييره ،يتكون من مجموعة من الموظفين إستمدوا صلاحياتهم من وأصبحوا شريحة إجتماعية ومن هنا نرى مدى إرتباط القضاء بنظام الوقف ،فقد بدأت أولة محاولات الإصلاح إنطلاقا من عهد الأمان[1].

الإجتماعية بزيادة مراتب المدرسين في جامع الزيتونة وأنفق على رجال الدين والطلبة وخصص مردود الأوقاف لرعاية الخدمات الثقافية والدينية[2].

وسع من إطارات الجامعة وزاد عدد الأساتذة ،وفي سنة 1875 أنشأ المدرسة الصادقية[3] حيث كان التعليم مجاني للطلاب والغاية من إنشائها هي إعداد نخبة مثقفة ثقافة علمية تساهم في إيجاد إطارات وطنية[4].

[1]–عبد القادر دوحة : المرجع السابق، ص 214.

[2]– نفسه: ص 221.

[3]–ينظر للملحق رقم 6، ص 87.

[4]–عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة، دار القدس، لبنان، 1975، ص ص، 56–57.

المبحث الثاني : أفكاره الإصلاحية

المطلب الأول : فكره الإصلاحي

من خلال ما تطرقنا إليه سابقا نرى ان خير الدين باشا التونسي كانت له العديد من الاعمال التي قام بها ونستطيع ايجازها فيما يلي :

بعد الازمة المالية التي اصابت البلاد التونسية ،نصب خير الدين باشا وزيرا على راس الوزارة وقام بعدة اعمال منها انشاء منصب وزير اكبر لتوثيق الصلات بين الايالة التونسية والدول الأوروبية ومع الباب العالي وكما قام بتوحيد الأحكام والعمل بها في البلاد وأنشأ مجلس صحي لمراقبة الأمراض المعدية[1].

– أسس المكتبة العبدلية ،وتسمى الصادقية[2]وهي تعتبر من المكتبات الحديثة خيث حرص على الإقتباس من المكتبات الأوروبية وذلك من خلال هندستها ومنهجها ونظمها تنظيما عصريا وقد إستفادت منه النخبة الفقيرة فالمكتبة مفتوحة في وجه العموم[3].

– أمر خير الدين بالجمع بين الأصالة المعاصرة والمحافظة على الدين والإستفادة من الحداثة الأوروبية بحيث أنه لا يدعو إلى الإصلاح فقط بل يجري مقارنات بين الماضي والمستقبل[4].

– دعوة القارئ للنظر بو]عي للحضارة العربية الإسلامية فيما مضى كانت متماسكة وبين أخذ المسلمين بمبدأ النظام موضحا هذه الفكرة ،حيث كان يشيد بدور آل عثمان الأوائل وخصوصا فترة سليمان القانوني.

ثم سلاطين الدولة العثمانية لما أقروه من تنظيمات كان يرى خطوة جديرة بالتشجيع[5]، كما قام بالقضاء على أسباب الإنحطاط وفي مقدمتها الإستبداد والذي أدى إلى الجور ، والإستثمار بالخيرات وخير الدين لم يتناول

---

[1]–فتحي معيقي : "النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن 19"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، جامعة العربي تبسي، تبسة، الجزائر، ع 02، 2019، ص 171.

[2]–جمعية قدماء الصادقية : سمية بالصادقية نسبة إلى الباي محمد الصادق الحاكم حينئذ بتونس وكانت هذه المدرسة أول مدرسة تونسية على الطراز الحديث تدرس اللغة العربية، للإستزادة ينظر، حسن بربورة، المرجع السابق، ص15.

[3]–عبد اللطيف بلمعطي : المرجع السابق، ص 274.

[4]–منى صالحي : "تأثير الإصلاحات العثمانية على تونس من خلال إتحاف اهل الزمان لأحمد بن ابي الضياق"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، الجزائر، ع 01، 2019، ص 80.

[5]–فريد حاجي : المرجع السابق، ص 30.

الموضوع من جانب التنظير فقط بل من التجربة فهورجل عايش الإصلاح في تونس وساهم فيه أشاد على الضرورة الإقتباس من الصناعة العسكرية الأوروبية كما يؤكد بصفة خاصة على إقتباس المؤسسات المقامة على مبادئ الدول والحرية والشورى[1].

عمل خير الدين باشا بجد في اللجان التي كلفت بتطبيق هذه المبادئ في التشريعات وذلك لإعداد دستور تونس ،توج أول دستور سنة 1760 وقد تولى رئاسة اللجنة المالية وإستطاع تخفيف الضرائب ونظم طرق تحصيلها[2]،ذكر محمد الخامس[3] في كتابه صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار قال " رجع خير الدين إلى تونس واعتنى بمباشرة وزارته مع اعتماد الوالي عليه في الإستشارة فحسن حالة حلق الوادي ،التي هي أعضم مرسى في القطر بما استطاع ورتب هيئة خدمة الوزارة لتقييد المكاتيب الصادرة وضبط جميع الحركات اليومية في دفتر وكان أول من عرف ذلك في القطر.

ثم أحدث معملا بخاريا لما تحتاج اليه السفن من الأدوات الحديدية والخشبية وأبدل الجسر الذي كان على الخليج بجسر متين[4].

أحدث طريق صناعي بن تونس وحمام الأنف طوله نحو12 ميلا قد كان ذلك الطريق الذي هوأهم الطرق جهات القطر بتعطل المرور فيه زمن الشتاء بكثرة الوحل فأزال التعطيل بإحداث ذلك الطريق[5].

" لقد دعا خير الدين إلى قيام تعاون بين رجال السياسة والعلماء من اجل النهوض بمصالح الأمة عن طريق تطبيق التنظيمات وهذا يعني ضمنيا أن علماء الذين يبتعدون عن شؤون الحكم مسؤولون إلى حد ما عن

---

[1]–فريد حاجي : المرجع السابق، ص ص 52–57.

[2]–مجدي عز الدين حسن : " النهظة والإصلاح عند خير الدين تونسي "، مجلة الأبعاد، وهران الجزائر، ع 07، 2018، ص 34.

[3]–محمد بيرم الخامس : ولد بتونس 1840، أمه ابنت الجنرال محمود خوجة، إلتحق بين مبكرة بجامع الزيتونة وتابع دروس أبرز المدرسين في ذلك العصر، كان مولعا بشؤون السياسة، للإستزادة ينظر، الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 87.

[4]–محمد بيرم الخامس : صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تحقيق علي بن الطاهر الشنوفي، ورياض المرزوقي وعبد الحفيظ منصور، مج 02، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1999. ص ص، 508–509.

[5]نفسه: ص 53.

طغيان الحكام وجورهم ،كما يعني أيضا أن الموقف المناهض للإصلاح الذي وقفه كثير من العلماء يعود إلى نقص تجربتهم في شؤون الحياة وتطوير موقفهم نحوالإصلاحات متوقف على ما يحصل في الميدان السياسي[1]."

في الواقع كان يرى خير الدين باشا أن القانون العثماني المذكور جعل الوزراء والعلماء مسؤولين على أعمال الخليفة يحلل نهوض الدولة العثمانية بعناية العلماء بأمور السلطة[2].

استقال خير الدين باشا التونسي من منصبه سنة 1862م ،لكنه لم يقطع علاقته بالباي والوزير الأكبر وقد قام بعدة أمور منها :

– زيارة العديد من الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا وإنجلترا والنمسا وإيطاليا وذلك من اجل إيصال عدة أوسمة لحكام تلك البلدان وقد تمكن من دراسة الأسس التي قامت عليها المدرسة الفرنسية بفضل هذه الزيارات ،وأيضا تأليفه لكتاب " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " وحذا حذوة ابن خلدون[3] بحيث اشتمل كتابه على مقدمة وتاريخ ،وعرض في المقدمة أسباب إنحطاط البلاد الإسلامية وكيفية إصلاحها أما التاريخ فقد تناول حال الممالك الأوربية ونظام حكمها وكان يهدف إلى وضع القارئ أمام صورة النهضة الأوروبية حتى يقتبس منها المسلمون[4].

ذكر حسن حسني عبد الوهاب في كتابه شهيرات التونسيات " وفيما تعلم أن المصلح التونسي الكبير الوزير المنعم خير الدين باشا كان عقد النية أيام وزارته على تأسيس مدرسة خاصة بالبنات المسمات سادة الثغر الحاجة يصارع بها المدرسة الصادقية التي أنشأها للبنين ،ولوأفسح الله مدة وزارته لأضاف هذه الحسنة إلى جملة أعماله المؤثورة المشكورة – طيب الله ثراه – "[5].

---

[1]–ارنولد قرين : المرجع السابق، ص 146.

[2]– نفسه: ص 146.

[3]–ابن خلدون : هوذلك المفكر العربي المسلم الذي توصل إلى علم جديد سماه العمران البشري وهوعلم الإجتماع، انتهى ابن خلدون إلى وضع نظريات وإكتشاف الكثير من الظواهر الإجتماعية، للإستزادة ينظر :حفيظة خليفي: "منهج ابن خلدون في دراسة الظواهر الإجتماعية، "مجلة دفاتر المخبر، جامعة شليحي، الأغواط، الجزائر، المج 16، ع 02، 2012، ص 33.

[4]–ابراهيم أحمد الشياب : الحياة السياسية في تونس، 1858 – 1881 م، رسالة لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الحديث، كلية الدراسات العلية، الأردن، 1998، ص ص، 210–211.

[5]–حسن حسني عبد الوهاب : شهيرات التونسيات، بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، 1934، ص 107.

ومن بين الأعمال التي قام بها خير الدين باشا التونسي عزل خديوي مصر إسماعيل باشا[1]في سنة 1876م قام الخديوي بعمل صندوق لتسديد الديون التي أستدينت من الدول الأوروبية وأنشأ لجنة تتألف من البريطانيين والفرنسيين سنة 1876م ، وفي حلول سنة 1879م أقال الخديوي اللجنة المالية التي تحتوي على وزيرين في المجلس الخاص ،فتدخل السلطان وأمر بإعادة اللجنة.

أشيع على خير الدين أنه يريد أن يصبح مركز من مراكز القوة في الدولة العليا لذا قرر السلطان إستدعائه والإستفسار منه حول هذا ،فنفى خير الدين وقال إنها إدعاءات من أعدائه ،وقد كان الخديوي إسماعيل من معارضين لخير الدين التونسي ،فأمر السلطان عبد الحميد[2] بإلقائه في السجن[3].

المطلب الثاني : نظرته إلى السياسة

لقد تميز خير الدين في الجمع بين شخصيتين شخصية السياسي وشخصية المفكر وهذا ليس بجديد في نظر سمير أبوحمدان فقد كان خير الدين صاحب تجربة فريدة بين سائر التجارب التي خاضها رجال النهضة الآخرون ،وهذا ما يمكننا مقارنته بعلي مبارك باشا الذي قد جمع مثلما فعل خير الدين ،كونه سياسيا تبوأ برفع المناصب وبين كونه إصلاحيا مفكرا يناضل ويحبر المقالات ،فأهمية الخطاب الإصلاحي عند خير الدين بنقطتين :

الأولى : قد تمثلت في تحديث مؤسسات الدولة.

---

[1]–اسماعيل خديوي : ولد في 31 ديسمبر 1830 بمصر تربى في حجره وبحياطة جده في المدرسة الخصوصية التي أنشأها في القصر تعلم فيها على يد نخبة من الأساتذة المهرة مبادئ العلوم واللغات، للإستزادة ينظر : إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا من سنة 1863 غلى سنة 1879م، المج 01 – ط 02، مكتبة المديولي، القاهرة، مصر، 1996، ص 60.

[2]– السلطان عبد الحميد : هوالسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية تلقى تعليما منتظما في القصر السلطاني على أيدي نخبة مختارة ...للإستزادة ينظر :علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني، فكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، صيدا، لبنان، 1999، ص 12.

[3]– فاضل حميد رشيد الشمري : العلاقات التونسية العثمانية في عهد الأسرة الحسينية 1705 – 1881م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث، جامعة الدول العربية، بغداد، العراق، 2020، ص ص، 195–196.

الثانية : إقامتها لان تونس في ذلك الوقت لم تقم مؤسساتها السياسية والإجتماعية[1] فقد نفي خير الدين بسبب التفوق الأوروبي بإعتدال الإقليم أوالديانة بل كان السبب الحقيقي للنهضة الأوروبية هوتحقيق العدل السياسي وبفضله تتقدم العلوم والصناعات فلذلك قد لحظه ابن خلدون في عبارة سابقا " العدل أساس العمران " وأن العدل السياسي هو مناف للاستبداد والتصرف المطلق كما هما سائدان في العالم الإسلامي[2] ولما هو عليه فخير الدين حكم البلاد حكما إستبداديا ولكنه عادل ،فكانت البلاد في فوضى عارمة فعالج كل نواحيها كما ذكرنا سابقا بحزم وضبط وقد قبض بيد من حديد على المفسدين والمتلاعبين ،وقد دفع البلاد إلى الامام بكل ما أوتي من قوة ،وقد عالج التيارات السياسية في أحرج أوقاتها وترجع الأمور إلى ما كانت عليه من إضطراب[3] فقد كانت نظرته الإصلاحية التي ضمنتها مقدمة كتابه " أقوم المسالك " هي ضمان العدالة والمساواة للرعايا امام القانون ،مع ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا عادلا ،فقد دعا إلى قيام وتعاون بين الساسة والعلماء من أجل النهوض بالأمة ومصالحها محملا أن العلماء هم الذين يبتعدون عن شؤون الحكم ،وذلك بسبب مسؤولية طغيان الحكام وجورهم، فقد اتكئ خير الدين على 3 دعائم أساسية هي :"الشريعة ،الإدارة ،العلماء"[4].

وقد تجلى حرصه في كتابه " أصحاب المراتب الدينية والسياسية " هو استقطاب النخبة السياسية والدينية التي يعول عليها فهذا ما يتوافق مع قول محمد بيرم عندما لخص فترة حكم خير الدين فيما يلي " يقال في مدة ولايته في القطر أن حكومته ،استبدادية عادلة ناحية منحى الشورى لأن أغلب مامر ذكره من الخصال كان يعقد له الجنات من أعيان الأهالي وأعيان الموظفين أو العلماء والأغلب أن تكون تحت رئاسته ولا يتم أمر الا بعد التوافق والتدبير فيه "[5] فقد ربط خير الدين بين تقدم الأمة بقوة الدولة وقوة الدولة بالحكم وأمامه هو ميدان السياسة ونظرية الحكم الصالح كما ذكرنا سابقا.

على حده مفهوم الحرية يقدم الوسيلة المثلى لإعلاء شأن الحرية فبعد أن يدين الإستبداد بالسلطة وحكم الفرد فهو يدعو في كتابه إلى إحياء " أهل الحل والعقد " ورايه أن يكون الوزراء مسؤولين أمام الأمة المنتخبين

---

[1]–سمير أبوحمدان : المرجع السابق، ص ص 79–81

[2]–خير الدين باشا التونسي: المصدر السابق، ص 53

[3]– أحمد أمين : المرجع السابق : ص 253

[4]– حفظية بن دحمان : رأي محمد بيرم الخامس الإحتلال الفرنسي للجزائر من خلال كتابه " صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار "،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2011، ص 51.

[5]–عبد القادر دوحة : المرجع السابق، ص 259.

ويقول " إن أوروبا إذا كانت صنعت ذلك إنطلاقا من القوانين الطبيعية العقلية الإلهية فإن المسلمين أولى منها بذلك لأن هذه التنظيمات السياسية تحقق غاية الشريعة الإسلامية أو مقاصدها " ورأيه في أصل قوة أوروبا تلك الوسائل تقوم نظمها السياسية المؤسسة على دعامتي " العدل والحرية "[1] وكانت أهم ملاحظات المؤرخين التونسيين أن التجربة الإصلاحية لخير الدين كانت سياسية وثقافية محظة ،وتركز على ماهوسياسي وعسكري وقد إعتبرت حركته من أقدم الحركات بالوطن العربي ،فقد عمل في سياسته الإصلاحية على تنظيم الإدارة وتدارك ما أفسده سلفه " مصطفى ترندار "[2] وكان خير الدين باشا يرد عن نفسه هجمات متوالية على جبهتين:

الأولى : تمثلت في التيار التغريبي الموالي للغرب الذي تزعمه في فترة من تاريخ تونس الباي محمد الصادق.

الثانية : في دي الغفلات من عوام المسلمين فقد تمادى هؤلاء في رفض العرب جملة وتفصيلا ،بإعتقادهم انه غرب الكفر ،تمثلوا قتداك برجال الدين خاصة وببعض رجال السياسة[3].

فقد ذهب خير الدين إلى ابعد ماقامت به التنظيمات العثمانية في إقامة الدستور ولكنه أيضا رجلا سياسيا واقعيا ويعلم ان تحقيق الفرض يرتبط بالأحوال ،وقد عارض خير الدين الحركات الإستقلالية ،ورأى ان تقييد الحريات يصبح مقبولا إذا كان غاية هي تحاشي نزعات الإنفصال ،ويحتج أن البلدان الأوروبية الأكثر تقدما تلجئ إلى ذلك اذا ما شعرت بالخطر[4]وكان برنامجه يتمثل في السعي لسن التنظيمات السياسية اي الدستور والذي هوتقييد السلطة الإستبدادية الفردية فهويراها اصل العيوب والبلاء من إنعدام الأنفس والأموال ،وانعدام العدل والحرية ،فهويطالب يهما تبعا للتنظيمات ،وهذه الأمور يراها كفيلة بتحقيق الإزدهار والتقدم والخروج من مرحلة الإنحطاط والتخلف ،فهولم يعر اهتماما لإصلاح الأحوال الإقتصادية وأظهر ضعفها أمام الإقتصاد الأوروبي وتسرب الدول الأوروبية بواسطته إلى تفقد السلطة وفرض ماتراه صالحا لحماية مصالحها الإقتصادية فكان راي خير الدين الإصلاحي وراي معاصريه ليست له نظرة شاملة تعمل على إجتثاث جذور الفساد في كل الميادين[5] ويرى خير الدين أنه من الواجب أن تتغير الشرائع والسياسات وأن يتفق رجال الأعمال والعلماء فيما

---

[1]–صلاح أحمد زكي : المرجع السابق، ص ص 32،34

[2]–عبد اللطيف بلمعطي : المرجع السابق، ص ص 273،275

[3]–سمير ابوحمدان : المرجع السابق، ص 81

4–خير الدين باشا التونسي : المصدر السابق، ص ص، 60–61

[5]–محمد محفوظ : المصدر السابق، ص 277

بينهم فهذا كان أول شرط للإصلاح السليم ،فذلك يقتضي أن يكون العلماء على اتصال بروح العصر ،فإذا كانوا بعيدين عن الحياة السياسية فإن رجال الأعمال أحرار في إتباع أهوائهم وميولهم فإن أهم واجبات العلماء أن يطلعوا بإتصالهم برجال السياسة على وقائع الأمور وعلى إطلاعهم هذا يتوقف على تطبيقهم للشريعة ،لذلك معرفة الظروف التي على ضوئها يجب تطبيق النصوص[1] وهوكان يناضل في سبيل تحقيق العدالة وثم تربطه بركني الإستبداد وروابط تقييد حريته[2].

ولم تكن قضية خير الدين باشا قضية الديموقراطية الحديثة بل قضية الفكر الإسلامي وكيف يجب تقييد سلطة الحاكم ؟ وهويرد على هذه المسألة ردا تقليديا ،وهوبتعابير جديدة : فيجب أن تتقلد وزارة قوية ومسؤولة مهام الوزير الصالح[3] والشعار الذي طرحه هومقاومة الإستعمار الغربي وبوجوهها المتعددة السياسية والإقتصادية والعسكرية والثقافية ،وشعاره الآخر هوتحديثه المؤسسات وفق نمط غربي ،وكان يرمي إلى اقناع رجال الدين والسياسة في عصره إلى النهوض وضرورة الاصلاح الشامل إلى مستوى الحياة والحضارة في اوروبا ،ويكمننا القول أن الرجل يسعى في كتابه " أقوم المسالك " إلى انه مبشر بالنهظة ،والمجتمع الحديث الذي يشد بعضه إلى بعض شبكة من العلاقات جديدة ومغايرة ،وبالدولة الديموقراطية القائمة على العدل[4] فحير الدين جر الفكر ،وواسع النظر ومتحمس في تحقيق الإصلاح ،وهو مرفق بحبس العدالة وما يتعلبق بها ،وقد تألب عليه أيضا رجال الدين ،اذ كره منهم ضيق عقلهم وتعرضهم لما ليس من شأنهم وأنهم يتدخلون في الامور السياسية كانت ولا يحسنونها[5] والامر عنده يبدومسألة اولويات فان حريته السياسية كانت محدودة[6] وقد شرح خير الدين أن العدل والحرية هما ركنا الدولة الأساسيتين وقد أصر على ضرورة تطبيق الحرية الشخصية والحرية السياسية في بلاد المسلمين ،وكان عمله في هدوء وصمت ،وفي احترام للولاة والحكام ،وقد أعطى تونس تونس تجربة فريدة من نوعها ،وفي وقت أحتاجت فيه تونس إلى إصلاحاته ومجهوداته ،خاصة في أن المطامع الإستعمارية كانت واضحة ومهددة[7] إن الإحتلال الفرنسي لم يكف علة التغيير والتحديث ومن قضية النهضة عامة قضية

---

[1]–ألبرت حوراني : المرجع السابق، ص 119

[2]–أحمد أمين : المرجع السابق، ص 239

[3]–ألبرت حوراني : المرجع نفسه، ص 121

[4]–سمير أبوحمدان : المرجع السابق، ص ص 82–83

[5]–أحمد أمين : المرجع نفسه، ص 257

[6]–الشيباني بن بلغيث : المرجع السابق، ص 71

[7]–يحيا جلال : المرجع السابق، ص ص 252،255

عسيرة وشاقة ،من خلال أن فرنسا لإحتلالها لهذا البلد ،جمدت مشروع النهضة عند حد معين لم تتجاوزه ،وإنطلاقا من النظرة الإنسانية فإن خير الدين كان واثقا من ثمرات النهضة والإصلاح فليس مكتوبا عند العرب التخلف على الأوروبيين التمدن والتحضر[1].

ولما يراه خير الدين من إستقامة الغدارة وتسيير أحوال السكان ،ولتحقيق الحضرة العليا ،فهي يجب أن تكون مؤسسة على النهج الصدق المتين وإذا تفضلت الحضرة العليا بدوام بعثها وجب منع مالا يناسب خطة الوزارة وإذا انه لا يمكن لصاحب هذه الخطة الشريفة إجراء المصالح على الوجه المطلوب بدونه[2] ونرى أن إختلاف خير الدين عن رجالات النهظة الآخرين هوكيفية التعامل مع العقلانية الحديثة ،فقد آمن بالعقلانية منهجا في الفكر وفي العمل وفي بناء الدولة والمجتمع والفرد ،والمختلف أن عقلانيته منهجا في الفكر وفي العمل وفي بناء الدولة والمجتمع والفرد ،والمختلف أن عقلانيته تستمد شرعيتها من المأثور الإسلامي نفسه.

وبإختصار أن تتعرف إلى أسباب منعته وقوته فعند التخلف يستبد مزيدا من التبعية والإرتهان للغرب ،وأن المزيد من التمدن بالأخذ بأسباب منعته لا لد أن يفضي إلى مزيد من الإستقلال عنه[3] ويصر خير الدين لأن تقدم أوروبا بسبب العلم والعدل ، وعبارته في ذلك " إنما بلغوتلك الغايات والتقدم في العلوم والصناعات بالتنظيمات بالمؤسسة إلى العدل السياسي وتسهيل طرق الثورة وإستخراج كنوز الأرض بعلم الزراعة والتجارة ،وملاك ذلك كله الأمن والعدل اللذان صارا طبيعة في بلدانهم ،وقد جرت عادة الله في أرضه أن العدل وحين التدبير والترتيب المحفوظة من أسباب نمو الأموال والأنفس والثمرات ويضدها يقطع النقص في جميع ما ذكره[4]

[1]–سمير أبوحمدان : المرجع السابق، ص ص 84،87

[2]–محمد العربي السنوسي : المصدر السابق، ص 344

[3]–سمير أبوحمدان : المرجع نفسه، ص ص 88–89

[4]–زيادة نقولا : المرجع السابق، ص80

خاتمة

من خلال دراستنا للحركة الإصلاحية في عهد خير الدين باشا التونسي من 1820 الى غاية 1890م نصل إلى أهم النقاط التي توضح العديد من الأفكار:

الحركة الإصلاحية هي عقيدة أو فكر سياسي يدعوا إلى إصلاح النظام أو مؤسسة قائمة بدلا من الغائها أو استبدالها ونستطيع القول أنها التغيير الاجتماعي المحدود الذي يشتمل على تحسينات تدريجية ومن بين روادها: خير الدين باشا التونسي، محمود قابادو ،محمد عبده .

ولها العديد من العوامل التي ساهمت في ظهورها كحملة نابليون بونابرت التي كان لها دور فعال في النهضة الفكرية في مصر خاصة والعالم الإسلامي عامة.

يعتبر القرن التاسع عشر نقطة تحول في البلاد التونسية، حدثت فيه العديد من الأحداث خاصة في فترة المصلح خير الدين بيرم التونسي فهو رمز من رموز قادة الإصلاح ، انتقل من الأسر الى رئاسة الوزراء ومن وزارة تونس الى وزارة الدولة العليا بحيث تقلد أهم المناصب بها وهي "الصدر الأعظم" واستطاع تغيير الأوضاع الى الأحسن بالرغم من الصعوبات التي عاشتها تونس فتجربته الإصلاحية هي إحدى التغييرات الحديثة التي حصلت في القرن التاسع عشر.

قام بتأليف كتاب أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك وحاول من خلاله إصلاح مختلف الولايات الإسلامية وبث روح اليقظة والنهضة فيها لما يحتويه من أفكار إصلاحية.

قام خير الدين باشا التونسي بالعديد من الإصلاحات داخل البلاد التونسية منها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وكان لها أثر كبير في تغيير حال البلاد، فعرفت تونس أعواما من الهدوء والسكينة ،وأيضا له العديد من الإنجازات التي تشهد عليها آثارها الى يومنا في أزقة وأنهج المدينة العتيقة في تونس وهي تخليد صورته في الأوراق النقدية.

رغم دور الكبير للحركة الإصلاحية إلا أنها لم تستمر وذلك بسبب فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م .

الملاحق

الملحق رقم (01) : حسين بن علي مؤسس الأسرة الحسينية 1705 - 1735م[1]

[1]فاضل الحميد رشيد الشمري : العلاقات التونسية العثمانية في عهد الأسرة الحسينية 1705 – 1881م ،أطروح لنيل شهادة دكتوراة في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الدول العربية ،بغداد ،العراق ،2020 ، ص 201.

الملحق رقم (02) : وثيقة عهد الأمان 1857م[1]

[1]– حسن بربورة : إصلاحات خير الدين في البلاد التونسية 1871 – 1877م ،تحليل نص من كتاب خير الدين و البلاد التونسية لـ: ج،س، فان كريكن ،جامعة زيان عاشور ، الجزائر ، 2013 ، ص 20

الملحق رقم (03) : جريدة الرائد التونسي [1]

الصفحة الأولى من جريدة «الرائد التونسي»، عدد 25 ـ سنة 14

278

[1]–محمد بيرم الخامس : صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار ،ترجمة محمد بيرم الخامس ،تحقيق علي بن الطاهر الشنوفي ،مج ،المجمع التونسي للعلوم و الفنون و الآداب ،بيت الحكمة ،تونس 1999 ،ص 278.

الملحق رقم (04) : خير الدين باشا التونسي [1]

[1]–سمير أبو حمدان :خير الدين التونسي " أبو النهضة التونسية " ، دار الكتاب العالمي ،بيروت لبنان ، 1993 ،ص 01

الملحق رقم (05) : كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك[1]

كتاب

أقوم المسالك

في معرفة احوال الممالك

تاليف

الشهم الافخم الهمام فارس الكتائب واليراع المقدام

منبع الذرى امير الامرا

السيد خير الدين التونسي

ابقاه الله قدوة لكل موتس

Bibl. El Khaldounia
مكتبة الخلدونية
1901

طبعة اولى

باذن خصوصي من الحضرة العليه

صانها وايدها رب البريه

في مطبعة الدولة بحاضرة تونس المحميه

سنة ١٢٨٤

[1]–خير الدين باشا التونسي أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ،المكتبة الخلدونية ،ط1 ،حاضرة تونس ،1281،ص 01.

الملحق رقم (06) : المكتبة العبدلية (الصادقية)[1]

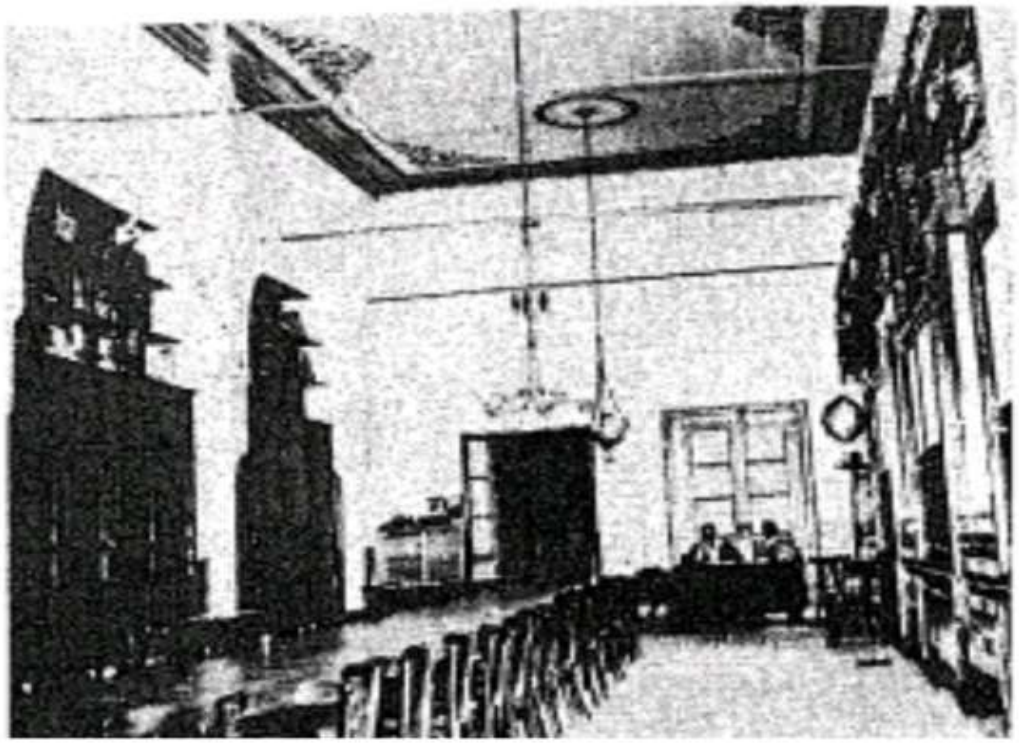

[1]–محمد العزيز ابن عاشور :جامع الزيتونة المعلم و رجاله ،دار سراس للنشر نتونس ،1999 ،ص 125.

الملحق رقم (07) : موكب إفتتاح سكة الحديدية بين حلق الوادي و تونس الحاضرة.[1]

[1]–محمد بيرم الخامس : صفوة الإعتبار بنستودع الأمصار و الأقطار ،تحقيق علي بن الطاهر الشنوفي ،رياض مرزوقي ،عبد الحفيظ منصور ،مج 02 ،المجمع التونسي للعلوم و الفنون و الآداب ،بيت الحكمة ،تونس ،1999 ، ص 822.

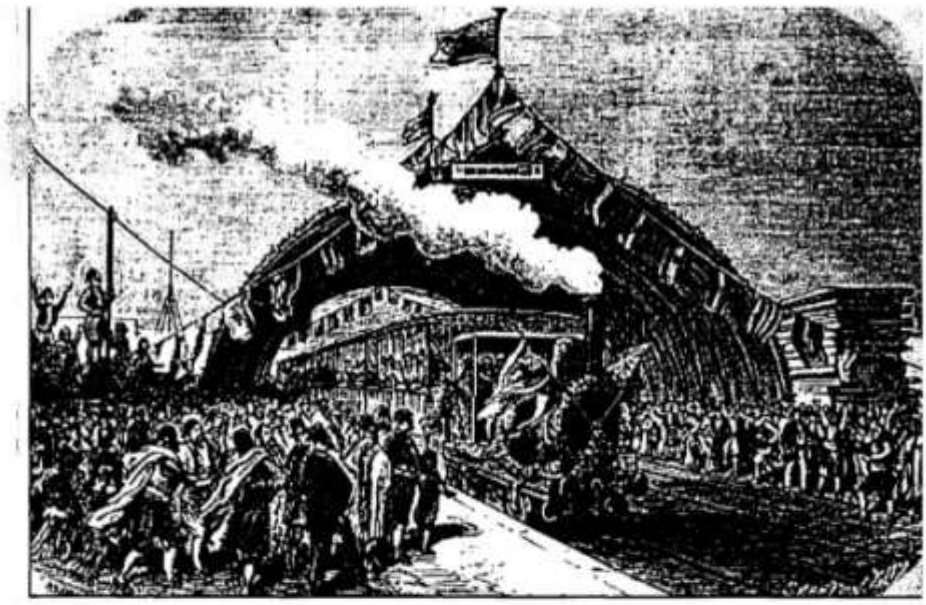

موكب افتتاح السكّة الحديدية بين حلق الوادي وتونس الحاضرة في صبيحة يوم السبت 27 جمادى الثانية 1289 (31 أوت 1872) وحضر هذا الموكب محمّد الصادق باي ووليّ عهده علي باي والوزير الأكبر مصطفى خزنة دار وقنصل عام انقلترا ريشارد وود. (راجع الرائد التونسي عدد 25 وعدد 26 السنة 13 عام 1289 هـ/1872 م.

القرآن الكريم

اولا : المصادر :

01- إبن أبي الضـــياف ، أحمد : إلتحاق أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،م2،م4، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د ت ن،

02- إبن خوجة محمد : صـــفحات من تاريخ تونس ، تقديموتقريب، حمادي الســـاحلي ، الجيلاني بن الحاج يحي، دار القرب الاسلامي بيروت ،لبنان، 1986

03- التميمي عبد الجليل : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871) تقديم روبار منتران ، دار التونسية للنشر ، تونس ، 1972

04- التونسي خير الدين: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تقديم محمد الحداد ، دار الكتاب المصري

05- الثعالبي عبد العزيز : تونس الشهيدة ، ط1 ، ترجمة وتقديم سامي الحيزي ، دار القدس ، بيروت ، لبنان ، 1975

06- الشـــريف محمد الهادي : مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، تحقيق محمد الشـــاولش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 الحبيب ثامر : هذه تونس ، مطبعة الرسالة مكتب المغرب العربي

07- بيرم محمد الخامس : صـــفوة الإعتبار بمســـتودع الامطار والاقطار لتحقيق على بن الطاهر الشـــنوفي ،ط2، المجتمع التونسي للعلوم والأداب والفنون ، بيت الحكمة ، 1999

08- محمد محفوظ : تراجم المؤلفين ، ج2 ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م

09- مذكرات خير الدين باشا ، تحقيق وتقريب محمد العربي التونسي، بيت الحكمة ، تونس 2008

ثانيا المراجع :

الكتب والأطاريح :

أ/ الكتب :

01- أبو حمدان سمير : خير الدين التونسي " أبو النهضة التونسية 3 شركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب العالمي ، بيروت ، لبنان ، 1993

02- أحمد أمين : فيض خاطر ، ج6 ، مؤسسة الهنداوي للتعليم الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012

03- أحمد زكي صلاح : أعلام النهضة العربية الإسلامية ،ط1، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، مصر ، 2001

04- أحمد عبد السلام : الموافق الإصلاحية في تونس قبل الحماية ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986

05- أحمد عبد السلام : الموافق الإصلاحية في تونس قبل الحماية ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1987

06- أحمد معمور العسيري : موجز التاريخ الاسلامي (منذ عهد أدم عليه السلام لتاريخ مافبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417هـ/ 1996 ، 1997) ط1، فهرسه مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، الدمام ، السعودية ، 1996

07- أرنولد غرين : العلماء التونسيون ، ط1 ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، قرطاج ، حنبعل ، تونس ، 1995

08- إسماعيل أحمد ياغي : العالم العربي في التاريخ الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، 1995

09- إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربيب المعاصر ، مكتبة العبيكان ، ط1 ، السعودية ، 2000

10- إسماعيل أحمد ياغي ،محمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر ،ج2 ،دار المريخ للنشر ،الرياض ، المملكة العربية السعودية ،1993.

11- ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939) ترجمة كريم عزقول ، دار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان

12- الجميل شوقي عطا الله : المغرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) ط1، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، مصر

13- الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ،ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ، 1973

14- إلياس الأيوني : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا من سنة 1863 إلى سنة 1879 ، المجلد الأول ، ط2 ، مكتبة المديوي ، القاهرة ، مصر ، 1996

15- أمين أحمد : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، لبنان

16- نقولا زيادة : اعلام العرب محدثون من القرن 189 و19 الاهلية للنشـــر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1999

17- نقولا زيادة : الاعمال الكاملة تونس في عهد الحماية ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1999

18- أنور الجندي : عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية (1879-1944) ط1، دار الطرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1984

19- بلقاسـم الغالي : شـيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر إبن عاشـور حياته وأثاره ، دار إبن حزم ، لبنان ، 1996.

20- بن بلغيت الشيباني : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859 - 1882) تقديم عبد الجليل التميمي ، مؤسـسـة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الأداب العلوم الانسـانية ، صـفاقس ، تونس ، 1995.

21- جرجي زيدان : تراجم مشاهر الشرق في القرن 19 ، مجلد2 ، مؤسسة الهنداوي ، مصر ، 2012

22- جلال يحي : المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث ، دار المعارف ، مصر 1965

23- حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ط3 ، دار الكتب العربية ، تونس

24- حسـن حسـني عبد الوهاب : شـهيرات التونسـيات بحث تاريخي أدبي في حياة النسـاء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الاسلامي الى الزمان الحاضر المطبعة التونسية 1934

25- حسـين حسـن الذهبي :الدورالسـياسـي للعلماء و الأعيان و شـيوخ الحرف في مدينة طرابلس ،الشـام (1914 ،1840م) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث و المعاصر ،بيروت ،لبنان ،2016.

26- حمد الهمامي : المجتمع التونسي ، دراسة إجتماعية واقتصادية ط1 ، صامد للنشر والتوزيع ، صفاقص ، تونس ، 1989

27- راغب السـرجاني : قصـة تونس من البداية إلى الثورة 2011 دار الأقلام للنشـر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2011

28- رافع عبد الجليل التميمي ،الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ،جمع و تقديم عبد الجليل التميمي ،منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية الموزيسكية و التوثيق و المعلومات ،زغوان ،تونس ،1988.

29- رافع عبد الرحمان النجدي : الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ،حمع و تقديم عبد الجليل التميمي ،منشـورات مركز الدراسـات و البحوث العثمانية الموريسـكية و التوثيق و المعلومات ، زغوان ،تونس ،1988

30- رافعي عبد الرحمان : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصـر ، ج1 ، مطبعة النهضـة ، مصر ، 1929

31- زين العابدين التونسي :محمود قايد و نصوص و دراسات على الأدب العربي في إفريقيا ،مطبعة العرب بنهج الديوان ،تونس ،1951.

32- سيار جميل : تكوين العرب الحديث ، دار الشروق ، عمان ، 1997

33- صـالح بن عبد الله بن حميد ، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح : موسـوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صـلى الله عليه وسلم - موسـوعة قيم أخلاق التربية الاسـلامية لما امر به ونهى عنه في الكتاب والسنة ، مجلد1،ط1، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، 1998

34- عاطف العراقي : الشيخ محمد عبده (1849-1905) مفكر اعربيا ورائد الاصلاح الديني والاجتماعي ، بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره ، المجلس الاعلى للثقافة ، العراق ، 1995

35- عبد الله المقلاتي : المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر ، تونس ، المغرب ، ليبيا) ديوان المطبوعات الجامعية

36- عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع : الدعوة الاصلاحية واعلامها ،ط1، فهرسه الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، الرياض ، السعودية ، 1420هـ

37- على بن غازي التويجري : الايضاح لما ورد في الكتاب والسنة بشأن الاصلاح ، جامعة إسلامية المدينة المنورة ، دار الاستقامة ، مصر ، 2019

38- على محمد الصلابي : السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الاسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية ، مكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،لبنان ، 1999

39- على محمد محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ط1 ، دار البيارق للنشر ، ليبيا ، 2001

40- مجموعة من الباحثين : المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي تنسيق الهادي التيمومي ، ط1، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون ، بيت الحكمة ، تونس ، 1999

41- محمد الحبيب ابن خوجة : شيخ الاسلام الامام الاكبر محمد الطاهر ابن عاشور ، مجلد1 ، دار العربية للكتاب ، تونس ، 2008

42- محمد العزيز إبن عاشور : جامع الزيتونة المعلم و رجاله ،دار سراس للنشر ،تونس ،1999.

43- محمد بن ابي ابكر عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة بيروت ، لبنان ، 1986

44- محمد عبد الله عودة ، إبراهيم ياسين الخطيب : تاريخ العرب الحديث ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1989

45- محمد عمارة : معركة المصطلاحات بين الغرب و الإسلام ،نهضة مصر للطباعة و النشر ،مصر ،1938.

46- محمد محمود السـروجي : العلاقات التونسـية الفرنسـية من الحماية إلى الإسـتقلال ،المكتبة الوطنية للنشر،بنغازي ،ليبيا ،2009.

47- محمود محمد على : خير الدين التونسـي ..... منارة الاصـلاح والتنوير في تونس ، جامعة أسـيوط ، مصر

48- معراج الدين الندوي : السـيد أحمد خان وجهوده الاصـلاحية في القارة الهندية (1817-1898) شـبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات ، 2015

49- مفيد الزيدي : موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الحديث ،دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2009.

50- نغم محمد صـالح : الحركات الاسـلامية في المغرب العربي (المغرب ، تونس ، الجزائر) دراسـة لدورها السـياسـي في ظل التحولات الديموقراطية ، ط1، الجنان للنشـر والتوزيع ، الخرطوم ، السـودان ، 2010

51- يحي بن شرف الدين النووي : شرح متن الاربعين النووية في الاحاديث الصـحيحة النبوية ،ط4، مكتبة دار الفتح ، دمشق، سوريا ، 1984

52- يونس درمونة : تونس بين الاتجاهات ، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1953

53-على المحجوبي : مايجب ان تعرف عن انتصـاب الحماية الفرنسـية بتونس ، تعريب عمر بن ناصـر ، حليم قرقوري وعلي المحجوبي ، سراس للنشر ، تونس ، 1986

ب/ الأطاريح :

01- إبراهيم أحمد الشيان : الحياة السياسية في تونس (1858-1881) رسالة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ ، كلية الدراسات العليا ، الاردن ، 1998

02- حسـان عمران : الثورة الفرنسـية الأولى (1789-1799) رسـالة ماجسـتير في القانون الدولي ، إدراك للدراسات والاستشارات ، سوريا ، 2016

03- حسين حسن اللولب : دور الصحافة العربية في تفعيل الوعي الوطني بالبلاد التونسية (1860-1912) رسالة المجاستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، 2000

04- حفيظة بن دحمان : رأي محمد بيرم الخامس في الإحتلال الفرنســي للجزائر من خلال كتابه : صــفوة الإعتبار بمسـتودع الأمصـار و الأقطار ،مذكرة لنيل شـهادة الماجسـتير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ،2011

05- رابح فلاحي : جامع الزيتونة الحركة الإصـلاحية في الجزائر (1908 - 1954م) رسـالة لنيل شـهادة الماجســتير في التاريخ الحديث و المعاصــر (تاريخ الحركة الوطنية المغاربية) جامعة منتوري ،قسـنطينة ،الجزائر ،2009

06- ســحبات زهيرة : العلاقات الســياســية و العســكرية بين الأيالة الجزائرية و الدولة العثمانية (1518 - 1671م) ،مذكرة لنيل شــهادة الماجســتير في التاريخ الحديث و المعاصــر ،جامعة الجيلالي ليابس ،ســيدي بلعباس ،الجزائر ،2015

07- سعيد بوذينة : الحركة الإصلاحية في تونس ،دراسة الأصول و الأفكار و الروئ ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة و العلوم في التاريخ المعاصر ،جامعة أبو القاسم سعد الله 02 ،الجزائر ،2021.

08- عبد القادر قوبع : الحركة الاصــــلاحية في منطقتي الزيبان والميزاب بين (1920-1954) مذكرة لنيل شهادة المجاستير في التاريخ المعاصر ، جامعة الجزائر ، 2009

09- غانية بعيو : التنظيمات العثمانية واثارها على الولايات العربية الشـام والعراق نموذجا (1839-1876) مذكرة لنيل شهادة المجاستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2009

10- فاضل حميد رشيد الثمري : العلاقات التونسية العثمانية في عهد الأسرة الحسينية (1705 - 1881م) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الدول العربية بغداد ،العراق ،2020

11- قدادرة شايب : الحزب الدستوري التونسي الجديد و حزب الشعب (1934 - 1954) دراسة مقارنة ،جامعة منتوري ،قسيطينة الجزائر ،2007.

12- كوثر العايب : العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711 - 1830) ،مذكرة ماجستير ،تخصص التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الوادي ،الجزائر ،2014.

المقالات :

01- أحمد بن نعماني : " وثيقة عهد الأمان في تونس العثمانية المؤرخة في 9 سبتمبر 1857م " ،دراسة محتوى و نتائج ،مجلة الروافد للبحوث و الدراسات ،غرداية ،الجزائر ، العدد 10 ،2011

02- إلياس طلحة : " تاريخ الصحافة المكتوبة في بلدان شمال إفريقيا (ليبيا ،تونس ،الجزائر) " مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ،مجلة دورية ،دولية محكمة ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية ،قسنطينة ،الجزائر ،العدد 14 ،د س ن

03- بلمعطي عبد اللطيف : " نخبوية الإصلاح المغاربي زمن القرن التاسع عشر ، خير الدين باشا و أحمد الناصري " ،مدرارات تاريخية دولية ،محكمة ربع نوبة ،جامعة ابن طفيل ،القنيطرة ،المغرب ،مج 01 ،عدد خاص ،2014

04- بوشيبة ذهبية : " الجيش الإنكشاري في إيالة الجزائريين ثنائية المصادر المحلية و الأجنبية " ،مجلة المتون ،جامعة الطاهر مولاي ،سعيدة ،الجزائر ،مج 08 ،العدد 04 ،2017

05- بوطبي محمد : " الجمعية الخلدونية التونسية بين المزية التاريخية و المشروع العلمي التونسي " ،أفاق الفكرية ،جامعة يحيى فارس ،المدية ،الجزائر ،مج 04 ،العدد 09 ،2018

06- جمال بن أحمد بن عيسى : مكحلي محمد ، الصراع السياسي بين تونس والجزائر خلال حكم حمودة باشا (1782-1814) وملامح التواصل الثقافي بينهما ، مجلة افاق الفكرية ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، العدد3 ، 2012

07- حفيظة خليفي : منهج ابن خلدون في دراسة الظواهر الاجتماعية ، مجلة دفاتر المخبر ، جامعة شليحي ، الاغواط ، الجزاءر ، المجلد16 ، ع2 ، 2012

08- دوحة عبد القادر : الاصـلاحات الاقتصـادية والاجتماعية لخير الدين التونسـي في منتصـف القرن 19 وعلاقتها بالحضارة الغربية ، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد11 ، 2016

09- دوحة عبد القادر : الاصلاحات السياسية والادارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن19 وعلاقتها بالحضارة الغربية عصور جديدة ، العدد12 11، جامعة وهران ، الجزائر ،2014

10- فاطمة الزهراء رحماني ، محمد دراج : وقف العلماء الازهر والزيتونة من الفكر التحدثي خلال القرن 19 ، مجلة رؤى التاريخية للابحاث والدراسات المتوسطية ، الجزائر ، العدد1 ، 2020

11- فتحي معيقي : النخبة التونسية وحركة الاصلاح الوطني خلال القرن 19 المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، جامعة العربي التبسي ، تبسة ، الجزائر ،ع02 ،2019

12- كروم عيسـى : وضـعية الارض الزراعية وملكيتها في المغرب الاوسـط من خلال نوازل المازوني ، مجلة دراسـات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الانسـانية والاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسـان ، الجزائر ، المجلد12 ، ع01 ،2020

13- مجدي عز الدين حسن : النهضـة والاصـلاح عند خير الدين التونسـي ،مجلة الابعاد ، وهران ، الجزائر ، ع7 ، 2018

14- محمد البشير الرازقي : مدينة تونس خلال نصف الثاني من القرن 19 من خلال جريدة الرائد التونسية ، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية ، تونس ، العدد 02، 2020

15- محمد علا : جهود الاصلاح في المغرب الاسلامي " سؤال الخصوصية في تجربة خير الدين التونسي الاصلاحية " الحياة الطيبة ، ابحاث ودراسات ، العدد12 ، 2015

16- مسلم بابا عربي : محاولة تأصيل مفهوم الاصلاح السياسي ، الدفاتر السياسية والقانونية جامعة ورقلة الجزائر ، ع9 ، 2013

17- منى صـــالحي : تأثير الاصـــلاحات العثمانية على تونس من خلال إتحاف أهل الزمان لأحمد بن أبي الضياف ، جامعة المسيلة ، الجزائر ، المجلد 03 ، ع1 ، 2019

18- منير صـــغيري : الفكر الاصـــلاحي التجديدي للشـــيخ محمد عبده واثره على الحركة الاصـــلاحية في الجزائر (1903-1931) ،مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، تلمسان ، الجزائر ، ع06 ، 2013

19- وسام هادي عكار عظيم : السياسة الفرنسية حيال تونس (1881-1914) ،مجلة الاستاذ الكرخ الثانية ، بغداد ، العراق ، الجلد الاول ، ع2/4 ، 2015.

20-مسعود ظاهر : " مقدمة منهجية لدراسة الفكر الإصلاحي عند خير الدين بيرم التونسي " معهد الإنماء ،مجلد 2 ،العدد 15 ،لبنان 1980.

الندوات :

1- عبد السلام أحمد : ملاحظات في معنى الاصلاح عند خير الدين وإبن أبي الضياف (تونس في القرن 19م) أيام دراسية من 20 إلى 23 افريل 1983 ، الاصلاح والمجتمع المغربي في جامعة محمد الخامس ، الرباط ، السعودية ، سلسلة الندوات والمناظرات ، رقم7 ، 1883.

القواميس والمراجع :

01- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء : معجم المقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الحيل ، بيروت ، لبنان ، 2000

02- الزمرلي الصادق : أعلام تونسيون، وتقريب حمادة الساحلي ،ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1986

03- وضاح زيتون : المعجم السياسي ، دار اسامة المترق الثقافي ، الاردن ، 2010

العنوان	الصفحة
الشكر و العرفان	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	**أ - ث**
الفصل التمهيدي : الأوضاع العامة في تونس قبل 1810	**1 - 16**
الأوضاع السياسية	2
الأوضاع الإجتماعية	6
الأوضاع الإقتصادية	9
الأوضاع الثقافية	13
الفصل الأول : الحركة الإصلاحية في تونس 1810	**17 -36**
المبحث الأول : بدايات الحركة الإصلاحية في تونس	19
المطلب الأول : تعريف الحركة الإصلاحية	19
المطلب الثاني : قيام الحركة الإصلاحية	24
المبحث الثاني : عوامل عوامل قيام الحركة الإصلاحية	26
المطلب الأول : عوامل قيام الحركة الإصلاحية	26
المطلب الثاني : خصائص الحركة الإصلاحية	34
الفصل الثاني : شخصية خير الدين بيرم التونسي	**37-61**
المبحث الأول : التعريف بشخصية خير الدين بيرم التونسي	39
المطلب الأول : المولد و النشأة	39
المطلب الثاني : تقلده المناصب	42
المبحث الثاني : مؤلفاته : كتاب " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "	49
المطلب الأول : الدراسة الظاهرية للكتاب	49

المطلب الثاني : محتوى الكتاب و أهميته	55
الفصل الثالث : الجهود و الأعمال التي قام بها خير الدين بيرم التونسي	**78- 62**
المبحث الأول : إصلاحات خير الدين بيرم التونسي	64
المطلب الأول : التنظيمات السياسية	64
المطلب الثاني : الإصلاحات الإقتصادية و الإجتماعية	68
المبحث الثاني : فكره الإصلاحي	71
المطلب الأول : فكره الإصلاحي	71
المطلب الثاني : نظرته الى السياسة	75
خاتمة	**79**
الملاحق	82
قائمة المصادر و المراجع	89
الملخص	99
فهرس المحتويات	101

الملخص:

يعالج الموضــوع الأوضــاع العامة بتونس خلال القرن التاســع عشــر ،هدفت دراســتنا للتعرف على الحركة الإصــلاحية التي تعود جذورها إلى حملة نابليون بونابرت معتمدين على المنهج التاريخي لاجل دراسة هذه الأحداث ،حيث تعرفنا من خلالها على أهم العوامل التي ساهمت في ظهور الحركة داخليا و خارجيا ،وقد نتج عنها ظهور مجموعة من المصلحين في الساحة السياسية لإصلاح الأوضاع السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية |،وقد تربع خير الدين باشا على مسرح هذه الأحداث ،محاولا تجسيد أفكاره الأصلاحية التي تطرق إليها في مثابة أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك في مختلف المجالات و الجوانب.

الكلمات المفتاحية :

القرن 19 ،الحركة الإصلاحية ،خير الدين باشا التونسي

The topic deals with the general situation in Tunisia during the nineteenth century. Our study aimed to identify the reform movement whose roots go back to the campaign of Napoleon Bonaparte, relying on the historical method in order to study these events, where we got to know the most important factors that contributed to the emergence of the movement internally and externally. It resulted in the emergence of a group of reformers in the political arena to reform the political, economic and social conditions, and Khair al-Din was on the scene of these events, trying to embody his reform ideas that he touched upon as the best path to knowing the conditions of kingdoms in various fields and aspects.

key words :

The 19th century, the reform movement, Khair El-Din bacha Al-Tunisi